



## مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر LMD

الميدان: لغة وأدب عربي  
الفرع: دراسات أدبية  
التخصص: أدب عالمي ومقارن

العنوان:

### صراع الأنساق الثقافية في رواية " الأشياء تتداعى " لـ "تشرينوا أتشيبى"

إشراف الأستاذ:  
د/ بوزيد مولود

إعداد الطالبتين:  
- تقمونت عقيلة  
- فرحات سمينة

رئيسا  
مشرفا  
ممتحنا

جامعة مولود معمري تيزي وزو  
جامعة مولود معمري تيزي وزو  
جامعة مولود معمري تيزي وزو

أستاذة التعليم العالي  
أستاذ محاضر "ب"  
أستاذة مساعدة "أ"

لجنة المناقشة:  
سامية داودي  
بوزيد مولود  
حكيمه حبي

## شكر و عرفان

نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأستاذ: مولود بوزيد، لإشرافه على موضوع بحثنا هذا.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ: لعلاونة محمد الأمين، على مساعدته لنا وتوجيهنا أثناء إنجاز هذا البحث.

# إهداء

نهدي عملنا هذا إلى عائلتي الكريمتين  
على كل ما قدماه لنا من دعم وتشجيع  
طوال مسارنا الدراسي.

سمينة / عقيلة

مقدمته

لم يعد مصطلح الرواية اليوم ذلك المصطلح الضيق الذي يتناول تيمة معينة بالدراس  
ة، أو يحوي في باطنه حبكة وعقدة وحل؛ بل أصبحت -الرواية- حالة جامعة لمختلف  
التييمات والبراديجمات التي فرضتها حالة ما بعد الحداثة و معها العولمة التي جعلت العالم  
قرية صغيرة تتلاقح فيها ثقافات لتنتج لنا نصوصا قلقة تساءل الواقع و تتعالى عليها ليتداخل  
ما هو روائي مع ما هو تاريخي في تمازج حين مفهوم الرواية و جعل نظرية الرواية  
نظرية قاصرة لا تستطيع بمكان ان تدرس النص الروائي و تفك مختلف مغاربه و هذا ما  
مهد لظهور دراسات سعت بالخروج من الدراسات التقليدية الى دراسات اكثر رحابة و هذا  
ما نجده في النقد الثقافي .

جاء النقد الثقافي مع الدراسات ما بعد البنيوية التي بينت عجز سابقتها من الدراسات  
في مقاربة الرواية المعاصرة و تحولاتها الأستمولوجيا -المعرفية- و هذا ما نجده في  
رواية الأشياء تتداعى لتشينو أنشيبى التي تعد رواية تتناول الواقع الإفريقي و تحولاته من  
الكولونيا لية/الاستعمار الى ما بعد الكولونيا لية، و عندما نتحدث عن الكولونيا لية و ما بعدها  
فإننا نتحدث عن نظرية ظهرت في الهند مع الناقد "هومى بابا" ورؤيته للتابع التي كانت  
بادرة للدراسات الكولونيا لية و ما بعدها، وهو ما حاولنا تطبيقه على رواية "أشياء تتداعى"  
التي وجدنا أنها رواية تتناول قضية الاستعمار، وما تبعه من تغيرات في الأنساق الثقافية  
الإفريقية.

حاولنا في بحثنا هذا أن نتطرق لقضية "الأنساق الثقافية" في الرواية الإفريقية، من  
خلال رواية " الأشياء تتداعى" التي وجدنا فيها مجموعة من الأسئلة التي انبنت عليها مجموع  
الإشكالات التي حاولنا الإجابة عنها والتي تمثلت في :

- ما مفهوم الأنساق الثقافية ؟ وكيف تجلت في رواية " الأشياء تتداعى"؟

- ما مفهوم المضمرة؟ وما هي الأنساق المضمرة التي حوتها الرواية واستطاعت تمريرها للقارئ عبر جماليات السرد ودون وعي منه؟ وما هي الأفضة التي اتخذتها تلك الثقافة لتمرير تلك الأنساق وتسويقها للقارئ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، قسمنا بحثنا إلى مقدمة، وفصلين، فخاتمة كانت بمثابة الحوصلة التي بينا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

جاء الفصل الأول موسوماً بـ: تمظهرات النسق السوسيو-ثقافي في رواية الأشياء تتداعي؛ حيث تناولنا فيه بعض المفاهيم الإجرائية، كتعريف النسق، الذي ربطناه ببعض المظاهر الاجتماعية والثقافية في الرواية الإفريقية عن طريق دراستنا لعادات وتقاليد القبائل الإفريقية، لنخرج على الأنساق الدينية والسياسة التي كانت تتحكم في قرية "أوموفيا".

أما الفصل الثاني فعنوانه بـ : تمظهرات النسق الكولونيالي بين الكولونيالي وما بعد الكولونيالي، الذي تطرقنا فيه إلى الظاهرة الاستعمارية الذي اجتاحت إفريقيا عن طريق الاحتلال الإنجليزي لنيجيريا، وما تبعه من أحداث حاولت تغيير الأنساق الثقافية للمجتمع الإفريقي.

من بين الأسباب التي جعلنا ننحو لهذا النوع من الدراسات، محاولتنا فك مغاليق الرواية الإفريقية؛ باعتبارها رواية بقيت رهينة الهامش لفترات طويلة من الزمن، نتيجة ارتباطها بالثقافة الإفريقية من جهة؛ وعدم اهتمام المترجمين بنقلها إلى اللغة العربية أو إلى لغة أخرى تمكن الآخر غير الإفريقي من الإطلاع عليها من جهة أخرى، كما كان لولعنا بالروايات التي تحمل في طياتها تمثلات غريبة عن ثقافتنا واسع الأثر في اختيارنا لهذا الموضوع.

فرضت علينا طبيعة الموضوع اعتماد آليات النقد الثقافي، باعتبارها تتماشى وهكذا نوع من الدراسات؛ خاصة وأن الرواية تأخذ طابعاً ما بعد حدثاً من حيث تيماتنا وبراديجماتها، مع اعتمادنا بعض آليات التأويل، التي مكنتنا من دراسة المضمرة الثقافية.

## مقدمة

---

اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع التي ارتأينا أنها تخدم موضوع بحثنا، ككتاب الأدب الإفريقي لـ "علي شلش"، وكتب "ميشل فوكو" في تعريفه للنسق، كما استعنا بكل من "سيمون دي بوفوار" في حديثها عن النسوية، وفي الختام لا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذ المشرف "بوزيد مولود على كل ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات ساهمت في تذليل الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداد هذا البحث.

مدخل

تعرضت إفريقيا لاستعمارات متوالية من البلدان الأوروبية و أحدثت هذه الاستعمارات تمازجات و تأثيرات في جل مجالات الحياة؛ ومن هذه المجالات الأدب؛ حيث كان للقارة تاريخ أدبي عريق يميل إلى الشفوية، و بعد التعرض للاحتلال ظهرت كتابات بلغة المستعمرين ما أدى إلى صعوبة ضبط مفهوم الأدب الإفريقي اليوم، إذ بدأ بعض الأدباء في عهد الحرية و الاستقلال و الدارسين الأفارقة في مناقشة هذا المعنى القاري العام الذي اشرنا إليه بعيدا عن التعصب العرقي ، هل هو أدب منطقة تم تحديدها عاطفيا على أساس قاري و مع أن " كونيني " أعلن عدائه للمعنى الإقليمي في جوابه و انتهى إلى أن الأدب الإفريقي هو الأدب الذي يصور واقعا إفريقيا بجميع أبعاده و هذه الأبعاد لا تضم ألوان النزاع مع القوى صاحبة السيطرة السابقة على القارة و حسب و إنما تضم أيضا النزاعات داخل القارة لأفريقية فقد ركز على الجنس الزنجي ، الثقافة الزنجية دون حساب الأجناس الأخرى<sup>1</sup> . ما يعني أن الأدب الإفريقي يضم التعبير عن حياة الزوج، لكن الشاعر النيجيري " كريستوفر اوكيجو " لم يوافق هذا الرأي و اعتبر أن " الأدب الإفريقي هو ببساطة الأدب الموجود في إفريقيا "<sup>2</sup> و لا يسعنا الحديث عن الأدب دون التطرق إلى الرواية التي تعتبر أحد أهم أعمدة الأدب التي لم تكن معروفة في إفريقيا كجنس أدبي رائد، فقد كانت المجتمعات تجنح أكثر للشعر -المشافهة- مهملة الرواية؛ كونها مجتمعات غير متعلمة من جهة و غير منفتحة على الثقافات الأخرى- الغربية-، لكن مع دخول التعليم توجه الاهتمام أكثر إليها- الرواية و " ليس من المدهش إذا أن تلقى الرواية الاهتمام الشديد من الأدباء الجدد عند دخول التعليم فالرواية بطبيعتها تؤسس أرضا

<sup>1</sup> -ينظر: علي شلش ، الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، 1993، ص 15.

<sup>2</sup> -المرجع نفسه، ص 15.

## مدخل

ذات اتصال و استجابة شخصيين و تفعل ذلك إلى حد ما -بصورة ملموسة -<sup>1</sup>. و قد كتبت الرواية الإفريقية بلغات متعددة، سواء المحلية منها التي تمكنت بمرونتها من استيعاب هذا الشكل الفني المعقد، أو لغة المحتل كالانجليزية التي وُلدت فيها الرواية الإفريقية ولادة تاريخية، و كتبت بها روايتنا محل الدراسة ، إضافة إلى اللغة الفرنسية و البرتغالية ، أما الخواص المميزة للرواية الإفريقية فقد حدث فيها اختلال بين الأفارقة و الأجانب المهتمين بالأدب الإفريقي .

كانت وجهة نظر المستشرق الفرنسي " ادوارد جليسيان" أن " قسم الروائيين الإفريقيين جنوب الصحراء الكبرى إلى فريقين : فريق يسحب أساليب الاستعماريين في انتهاك حرمة إفريقيا و فريق آخر يحاول المحافظة على القيم الفنية قدر الإمكان و أضاف أن الرواية الإفريقية أو الزنجية كما سماها يجب أن تأتي من مركب هذين المدخلين"<sup>2</sup>، و معنى هذا أن الفن و الشجب متوازيان و أن المراوحة بينهما يُصلح حال الرواية الإفريقية لكن الرواية الإفريقية لم تبق عند عتبة شجب أفعال المستعمر فقد تطورت و لم يعد الشجب المباشر مستساغا و تجدر الإشارة إلى أن الروائيين الأفارقة استعاروا القوالب الأوربية للتعبير من خلالها عن معاناتهم و رفضهم الاستعمار، ولم يكن هدفهم الاستغراق في التفتن نفسه، بقدر اهتمامهم بتقديم تجاربهم الشخصية من خلال الرواية " و لعل هذا ما يفسر طغيان تلقائية التعبير عند الرواد منهم، كما يفسر طغيان أسلوب الاعترافات و اليوميات على كتابات شباب الجيل التالي الذي تعلم معظمه في أوروبا"<sup>3</sup> بالإضافة إلى هذا نجد في الرواية الإفريقية حضورا ملحوظا " للرواية السبيرية " فقد مال الأدباء الأفارقة المغتربين إلى التعبير عن حنينهم في شكل قريب من السيرة الذاتية، لكن تبقى

1 - علي شلش، الأدب الإفريقي ، ص 126.

2 - المرجع نفسه، ص 179.

3 - نفسه، ص 179.

## مدخل

هذه الخاصية غير ثابتة و مؤقتة، بعكس خاصية النهل من التراث الشعبي " و من النادر أن نجد روائيا في شرق القارة و غربها صفة خاصة - لا يطعم رواياته بعناصر من تراثه الشعبي "<sup>1</sup> و باستثناء هذه الخواص لا نجد ميزات أخرى للرواية الإفريقية. لكننا نجد أن لكل روائي خواص تمايزه عن غيره من الروائيين، و هذا ما نجده عند الروائي النيجيري " تشينوا اتشيبى " الذي ينتمي إلى قومية " الايغبو " و هو من رواد الرواية الإفريقية المكتوبة بالانجليزية ، و قد تناولت كتاباته بشكل خاص المخلفات المأساوية للامبريالية البريطانية على المجتمعات الإفريقية و تعد روايته " الأشياء تتداعى " ابرز أعماله؛ إذ يتناول فيها الصراع بين الحياة القبلية التقليدية مع الوجود الاستعماري البريطاني.

تعتبر الرواية جنسا أدبيا جماليا ما يجعلها أرضا خصبة لتواجد الأنساق الثقافية ، فغالبا ما يجد الباحث فيها نفسه أمام فضاء حيوي واسع للمتابعة النقدية الثقافية، و رصد الأنساق المستترة تحت عباءة النص، و هذا من خلال النقد الثقافي الذي يعتبر من الآليات النقدية ما بعد البنيوية و هو من احدث التوجهات النقدية و المعرفية التي عرفت الساحة النقدية؛ حيث يبحث عن النشاط الثقافي داخل النص الأدبي و يتجاوز النقد الأدبي إلى نقد يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة و قد عرفت هذه الدراسات انتشارا في السبعينات بعد انحصار النظريات النقدية النصوية البنيوية و تحولات ما بعد الحداثة، فالدراسات الثقافية لم تعد تتناول النص من حيث بنيته، و لا تنظر إلى الأثر الاجتماعي و السياقات النفسية و التاريخية و الاجتماعية المحيطة به؛ بل تأخذ من حيث ما يتحقق فيه، و ما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية، و مختلف الاديولوجيات التي تمارس سلطتها على المتلقي بطرق مستترة. وبالتالي يتم تناول النص على أساس انه حامل لانساق مضمرة.

<sup>1</sup> -الأدب الإفريقي، ص 180.

# الفصل الأول

مفهوم النسق:

لغة:

يعتبر النسقُ أهم العناصر التي يتكون منها النصُّ لذا وجب الغوص في مفهومه ودلالته اللغوية. وقد ورد تعريف النسق في المعاجم العربية كالتالي:

جاء في "معجم العين" النسق من كل شيء : ما كان على نظام واحد عام في الأشياء و نسقته نسقا و نسقته تنسيقا و تقول : انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت<sup>1</sup>.

و ورد في لسان العرب: "النسق من كل شيء : ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء و نسقته نظمه على السواء ، و إنتسق هو و تناسق و الاسم النسق و قد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت ، و النحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطف عليه شيئا بعده جرى مجرى واحداً"<sup>2</sup>.

يظهر التعريفين السابقين أن النسق يعني انتظام الشيء على نحو واحد .

أما في معجم المقاييس فورد أن: « النون و السين و القاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء و كلام نسق : جاء على نظام واحد و قد عطف بعضه على بعض، و أصله قولهم : ثغر نسق ، إذا كانت الأسنان متساوية متناسقة»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الخليل الفراهدي ، تح عبد الحميد لغداوي ، ج4 ( ر د ي ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1424هـ - 2003 م ، ص 218.

<sup>2</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، باب القاف ، م10 ، دار صادر بيروت "د ط" ، ص 353 — 352 .

<sup>3</sup> احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة تح و ضبط عبد السلام محمد هارون ، ج 5، باب النون و السين ، دار الفكر للنشر و الطباعة و التوزيع ، ص 420 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

في المجمل تعني كلمة نسق و التي جمعها أنساق تموضع الأشياء في نظام معين أو عطفها على بعضها و تتابعها في نظام واحد ، كما يشير معناها في اليونانية القديمة التنظير و التركيب (systeme) ، كما تشير إلى الروابط و التفاعلات بين البنیان و العناصر و الأجزاء المكونة للشيء.

### اصطلاحاً :

لم يلق مصطلح النسق الشهرة إلا بعد شهرة النقد الثقافي بحيث يُعتبر وسيلة هذا الأخير لتفكيكه عن مكونات النصوص الأدبية ، وبالعودة إلى بدايات ظهور هذا المصطلح يعود بنا الحديث إلى عالم اللسانيات "فردناند ديسوسور" حيث استخدم هذا المصطلح في تعريفه للغة حيث يعرفها على أنها نسق من العلامات فقد ضمن اللغة فكرة النسق فهي " تلك العناصر اللسانية التي اكتسب قيمتها بعلاقتها فيما بينها عن بعضها البعض"<sup>1</sup>، و قد استخدم علماء لسانيات آخرون هذا المصطلح .

كما عرف "فوكو" مصطلح النسق في كتاب هم الحقيقة على أنه : « أعني بكلمة النسق مجموعة من العلاقات التي تثبت و تتغير في استقلال عن الأشياء التي تربط إليها ، لقد اظهر (البحث) مثلا أن الأساطير الرومانية و الاسكندنافية و السلبية تظهر آلهة و أبطالاً شديدي الاختلاف بعضهم عن البعض ، إلا أن التنظيم الذي يربطهم (بالرغم من تجاهل هذه الثقافات لبعضها بعضاً) و تراتباتهم و منافستهم و خياناتهم و تعاقباتهم و مغامراتهم تخضع كلها لنسق وحيد... و تساعد بعض الاكتشافات الحديثة العهد في ميدان ما قبل التاريخ ، كذلك على تبين تنظيم صارم ينظم توزيع الصور المرسومة على جدران

<sup>1</sup>-عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون الكويت 1977، ص184 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

الكهوف»<sup>1</sup> فحسب فوكو النسق مجموعة من العلاقات المتغيرة أحياناً و الثابتة أحياناً في استقلالية عن الأشياء التي تربطها ، نلاحظ أن تعريف فوكو متقارب مع التعريف اللغوي .

### النسق الثقافي وأنواعه:

يعتبر النسق في مفهومه النقدي مجموعة من العناصر منتظمة في نظام يحكمها كلها و يجعل منها بنية واحدة متكاملة ، يعتبر النسق بشكل عام : « انتظام بنيوي يتناغم و ينسجم فيما بينه ليولد نسقاً أعم و اشمل و على سبيل المثال يُوصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي عام ينتج عنه مجموعة من انساق فرعية انتظمت معه ، و شكلته فتولد عنه نسق سياسي و آخر اقتصادي و علمي و ثقافي تنسج علاقتها فيما بينها في مسافات متفاعلة و متداخلة »<sup>2</sup>

تتعدد الأنساق في النص و تتداخل في خيياته ، فتكون في بعض الأحيان ظاهرة و بارزة بينما تختفي في أحيان أخرى و مشكلةً هذه الطريقة نوعين من الأنساق تتمثل في :

### 1- النسق الظاهر:

عندما يتناول القارئ العمل الأدبي بالقراءة و يتفحصه يكون في يديه مادة خام فيحللها انطلاقاً من قالب الثقافي المقدم فيها و الظاهر و الذي يكمن فيه قصد استنباط القيم الثقافية التي نهل منها النص ، فهذا الأخير يتحول إلى حديث نسقي عن طريق الثقافة و بالتالي فان القارئ يطرح أسئلته على النص من خلال ما يظهر له فيه من انساق و يتجلى لنا هنا أن النسق الثقافي له تمظهرات في النصوص الثقافية هي النسق الظاهر المعلن و الآخر النسق المضمحل الخفي ، هذان النسقان متلازمان داخل النصوص الثقافية ، لا يكاد احدهما يفارق

<sup>1</sup>- ميشال فوكو ، هم الحقيقة مختارات ، تر مصطفى المسناوي ومصطفى كمال و محمد بولعيش ، سلسلة بيت الحكمة ، إشراف مصطفى المسناوي ، دط منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى 2006 م/1427 هـ ، ص 8 – 9 .

<sup>2</sup>- محمد مفتاح ، التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1996 ، ص 156 – 157 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

الآخر بل يتعارضان ويتناقضان ويتجادلان داخل النص الثقافي إلا عندما يتعارض نسقان من انساق الخطاب أحدهما ظاهراً والآخر مضمراً، ويكون المضمراً ناقضاً وناسخاً للظاهر<sup>1</sup> و نستنتج انطلاقاً من هذا أن النسق الظاهر وسيلة مهمة للكشف عن النسق المضمراً المتخفي وراءه .

### 2- النسق المضمراً:

يحتل النسق المضمراً مكانة مركزية في مجال النقد الثقافي و تشير المعاجم اللغوية إلى أن النسق المضمراً مرتبط دلاليًا بالإخفاء و الإضمار كما جاء في معجم مقاييس اللغة "ضمراً : الضاد و الميم و الراء أصلان صحيحان ،أحدهما يدل على دقة في الشيء و الآخر يدل على غيبة و تستر<sup>2</sup>

أما في الأدب فنجد هذا المصطلح ضارباً في عمق التاريخ و يمتد على مر العصور حيث يجد الإنسان مرتبطاً بموروثات أسلافه و نجد لهذه التراث المتوارث أثراً في الذات الإنسانية و قد قدم عبد الله الغدامي مفهوم النسق في ظل هذا المفهوم حيث يرى أن كلمة النسق هي كثيرة الاستعمال في الخطابات المتعددة سواء في النظام العام أو الخاص ، و قد يكون معنى هذه الكلمة بسيطاً ، و هو ما كان على نظام واحد ، و قد يكون مرادفاً لمعنى البنية حسب مصطلح دي سوسير ، كما يحدد مفهوم النسق عبر وظيفة و ليس وجوده المجرد ، و الوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد و مقيد<sup>3</sup>

في المجلد النسق الذي جمعه انساق يتحدد مفهومه في ترابط الأشياء وفي شكل تباهي في نظام واحد، نظر إليه الدارسون كل حسب مجال دراسته.

1- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب دط، 2005 ، ص 46

2- احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح و ضبط عبد السلام محمد هارون ، ج 3، باب الضاد و الميم ، ص 371 .

3- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 78 .

بعد التعرف إلى مفهوم النسق نأتي إلى مفهوم النسق الثقافي:

الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته يعيش في مجموعات يخضع لنظمها و ثقافتها و تنتوع هذه الثقافة من مجتمع إلى آخر و تتجسد في الخطاب على شكل انساق ، وقد عرف عبد الله الغدامي للنسق الثقافي في قوله :«والأنساق الثقافية هذه انساق تاريخية أزلية وراسخة لها الغلبة دائماً ، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق ، وقد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات و الأمثال مثلما هو في الأشعار و الإشاعات و النكت ، كل هذه الوسائل هي حيل بلاغية جمالية تعتمد المجاز و ينطوي تحتها نسق ثقافي ، ونحن نستقبله لتواضعه السردى و تواطئه مع نسق قديم منغرس فيها»<sup>1</sup>.

وقد تم نقل مصطلح النسق إلى المحيط الثقافي عند كلود ليفي سترانس فهو يطرح فكره أن كل ظاهرة ثقافية و بناء اجتماعي تحكمه مجموعة من القوانين و البنيات المختبئة في لا وعي الإنسان هو أمر يدعو إلى البحث في البنيات الذاتية في العقل الإنساني ويتحدد مفهوم النسق الثقافي في شبكة العناصر المترابطة المتكونة من الفنون و الأخلاق و الدين و السياسة و مختلف العادات المكتسبة للإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه و لا يمكن تحصيله و الإحاطة به إلا بوجوده داخل ثقافة مجتمع معين .فهذا المصطلح يعني الدقة كما يعني الغياب و التخفي كما جاء في مفهومه اللغوي و عند ربطنا مصطلح النسق الظاهر الذي سبق و عرفناه و النسق المضمرة يمكن لنا تحديد مفهوم هذا الأخير في ضوء هذا السياق حيث

<sup>1</sup>- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية الثقافية، ص 76.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

يمثل دلالات نسقية مختبئة تحت غطاء الجماليّ و متوسطة بهذا الغطاء لتغرس ما هو جماليّ في الثقافة.<sup>1</sup>

انطلاقاً من هذا نخلص إلا أن النسق المضمراً يتخفى و يختبئُ بينما يطفو الظاهر إلى السطح عكس المضمّر الذي يتوارى و يرسو في باطن النصّ ، لقد عني النقد عناية كبيرة بهذا الأخير كونه كامناً و هنا تتجلى خطورته حيث يمكن له ممارسة تأثيره دون الخضوع لأي رقابة «النسق هنا من حيث هو دلالة مضمرة فان هذه الدلالة ليست مصنوعة من المؤلف، ولكنها منكبته و منغرسه في الخطاب ، و مؤلفاتها الثقافية و مستهلكوها جماهير اللغة من كتاب و قراء ، ويتساوى في ذلك الصغير مع الكبير، النساء مع الرجال و المهمت مع المسود»<sup>2</sup> حيث لا يكون هذا النسق من صنع المؤلف و إنما يأتي منفرداً في عمق الخطاب. إن الجمالية اللغوية و جماليات البلاغة هي المظلة التي تتخفى تحتها هذه الأنساق المضمرة و هي التي تمنحها قدرتها الكبيرة على التخفي و النفاذ إلى القبول و التأثير فيها

### -النسق الاجتماعيّ:

إن الإنسان عامة اجتماعي بطبعه و الإنسان الإفريقيّ خاصة يقدر العلاقات الاجتماعية لا يكون للفرد الإفريقيّ إلا من خلال المجموعة التي ينتمي إليها و بهذه المجموعة تتشكل هويته و حيز أمنه حيث هناك مثل يقول: «أنا موجود لأننا موجودون و ما دمنا موجودون فانا موجود» ، لكل مجتمع نسق خاص تدرج تحته أوجه السلوك الإنسانيّ الذي يتضمن بدوره مجموعة من النظم الاجتماعية ، و هذا يخص أيضاً المجتمع الإفريقيّ الذي يملك نظمه الخاصة التي تميزه عن بقية المجتمعات و قد وردت في رواية «أشياء تتداعي» متمثلة في أنساق اجتماعية .

1- عبد الله الغدامي عبد النبي صطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر دمشق، ط1، 2004، ص 33..

2- ينظر عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 79.

1- نسق الرجل :

تظهر لنا رواية "الأشياء تتداعي" مكانة الرجل المرموقة في المجتمع الإفريقي وقبيلة الايغبو كنموذج حيث يُمثل مركز المجتمع وعماده الأساسي، تعتمد القرارات عليه، كانت الرجولة متعلقة بصفات معينة يجب توفرها في الشخص ليتمكن من تحقيق مكانة رفيعة في المجتمع.

كان أكونكو الرجل البارز في الرواية و الذي تدور حوله الأحداث بشكل أساسي ، هو نموذج الرجل الإفريقي المستوفي لصفات الرجولة ، فخوفه من فشل أبيه دفعه للعمل جاهداً من اجل تجاوزه و صنع صورة تستحق الاحترام بين أفراد القبيلة ، فقد عُرف بشجاعته منذ صغره حيث كان مصارعاً بارزاً يُحسب له ألف حساب و هو لا يزال صاحب الثامن عشرة سنة ، حاز لقبه على شرف عظيم بتغلبه على أفضل مصارعي "اوموفيا صار مفخرة أهله و عشيرته ، هذا يدل على صورة الرجل القوي في إفريقيا فصفة الرجولة تأتي مصاحبة لصفة القوة و الشراسة ، بالإضافة إلى هذا سعى أكونكو جاهداً إلى تكوين ثروة تتمثل في مخازن البطاطا الحلوة و هذا يدل على أن الغذاء في إفريقيا ثروة ، كما عُرف باجتهاده ومثابرتة على العمل من اجل تكوين هذه المخازن ،هنا تظهر لنا قطعة أخرى من الصورة التي تمثل الرجولة و هي الاجتهاد و المثابرة و الابتعاد عن الكسل .كما كان لبطل الرواية ثلاث زوجات بنا لهن أكوأخاً متباعدة و ملكهن أقنان دجاج، تعدد الزوجات يدل على صفة الفحولة المطلوبة في إفريقيا لإثبات الرجولة و الرخاء و القوة الجنسية التي ترمز إلى قوة الرجل.

لم يكن أكونكو الرجل الذي يعبر على مشاعره ، فلم يكن يخبر أحباؤه بحبه لهم فقد كان كتوما بهذا الشأن ،يعتبر الإفصاح عن المشاعر ضعفاً و إظهار خوفه على الأشخاص المهمين في حياته ضعف ، كان يحب ابنته إزينا أكثر من أولاده الآخرين لكنه في قرارة نفسه كان يتمنى لو كانت صبيا لان مكانة الصبي أهم من الفتاة في مجتمعه ،كان دائم

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

التعامل بخشونة مع زوجاته ولم يكن ودودا، فقد كن يشعرون بالخوف منه حتى أنه وصل به الأمر إلى إطلاق النار على زوجته فقط لأنها مزحت معه، كان يضربها في كثير من المرات، حتى في تربية الأولاد الصغار كان شبح الخوف من الضعف و تربية فرد قوي حاضرا، فقد كان يشجع الأولاد للجلوس معه في كوخه يخبرهم قصصاً عن البلاد، قصصا ذكورية عن العنف و إراقة الدماء. رغم أن ابنه كان يفضل القصص التي ترويها له والدته لكنه عرفها أنها للنساء و الأولاد الحمقى، رغم تفضيله لهذا النوع من القصص إلا انه تظاهر بعكس ذلك، هذا ما جعل والده يشعر بالسرور و الرضا و يواصل و يواصل حكاية قصص الحروب له و بطولاته، كانت صورة الرجل القوي المحارب متضمنة في الخطاب القصصي للشعوب الإفريقية و مترسخا في أذهان الأطفال و يكبر معهم ليكونوا رجالا أقوياء لا يعرف الخوف و الضعف حضورا في حياتهم .

في مقابل الصورة المثالية لأكونكو بطل القبيلة كانت صورة الرجل المنبوذ المتمثلة في والده حاضرا، حيث صور تشينوا أتشيببي -الروائي - "أنوكا" في صورة الرجل الكسول الذي لم يتمكن من تحقيق أي انجاز في حياته ولم يستطع يوما التفكير في الغد بل اكتفى بحبه للموسيقى و التبذير حتى أصبح مديونا للكثير من الناس ولم يكن رجلا يخوض الحرب ولم يحصل على أية ألقاب في القبيلة، كان الرجل الذي لا يحصل على ألقاب ينعت "بالمرأة" وهذا ما يوضح لنا أن الرجل الضعيف الكسول كان منبوذاً في المجتمعات الإفريقية و في قبيلة الايغبو التي تدور فيها أحداث الرواية .

### نسق الرجل بعد الاستعمار :

بعد وصول المستعمر تغيرت وضعية الرجل في مجتمع الايغبو و النظرة إليه، فدخل الدين المسيحي الذي أتى به الرجل الأبيض ارجع الاعتبار لفئة كانت منبوذة فيما قبل «لم يكن أي من المتحولين إليهم ذو كلمة محترمة في اجتماع الناس، ولم يكن أي احد منهم رجلا ذو لقب كانوا غالبا من نوعية الناس الذين يدعون بالتافهين، الرجال الفارغين الذين

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

لا قيمة لهم ،كانت صورة التافه في لغة العشيرة هي الرجل الذي باع منجله و ليس الفخذ للمعركة<sup>1</sup> ،شعرت هذه الفئة بالقبول و وجدت حيزا تشعر فيه بالاحترام عكس المعاملة الدينية التي كانوا يعاملون بها من قبل ،فقد كانوا بنظر القبيلة نساء استدرجت المسيحية اقرب الناس من البطل أكونكو وهو ابنه أنووي حيث يظهر لنا صورة الرجل الأسود الذي اقتنع بالدين الجديد وحملت الترانيم لنفسه السلام ،شيئا فشيئا تحول إعجابه بها إلى إيمان وترك المنزل بعد صراعه مع والده الذي يمثل قيمة الرجل التقليدية و قرر الذهاب إلى اوموفيا حيث يعلم الرجل الأبيض الشباب القراءة و الكتابة ،أما أكونكو فمع مرور الوقت أصبح يخيب أمه .

شيئا فشيئا بعد تقدم الدين المسيحي و تغير مفاهيم الرجولة و النظام حتى الرجال نوي الشأن و الألقاب إليه كأوغبويافي أغوونا الذي حصل على لقبين وقطع خلخال لقيه ورماه لينضم للمسيحيين ،كل هذه الأمور سببت صراعا في نفسه تستيقظ فيها رغبة بالثورة على هذا الرجل الأبيض الوافد و القضاء عليه و على كل المفاهيم الجديدة التي أتى بها .أما الرجل الأبيض فيمثله الرجل المبشر "براون" الذي اتسم بالدبلوماسية والوعي حيث كان يمنع رعية من إثارة غضب العشيرة ،نجد في الرواية وصفا لعلاقته مع "أكونا" الذي يتحاور معه لساعات عن طريق مترجم ،لم يتحول أي منهما إلى دين الآخر لكن تعلم كليهما الكثير عن دينيهما من خلال تحاوراتهما ، يمثل أيضا جانب الرجل الأبيض "القس جيمس سميث" الذي يعتبر العالم معركة يتصارع فيها النور الذي يمثله هو وأتباعه و الظلام الذي يمثله الآخرون وانتقد طريقة "براون" بجمع عدد كبير من الوثنيين في الكنيسة و سعى هو بدل ذلك الإبقاء على عدد قليل من المتحمسين الحقيقيين .من خلال هذه ندرك أن نسق الرجل مبني على أطراف متعددة شكلت تركيبة مجتمع الايغبو .

<sup>1</sup> رواية الأشياء تتداعي ، تشينوا أتشيبي ، تر د/ فؤاد عبد المطلب ، دط الجزائر تقرأ ، 1959 ، ص 178 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

أبرز الشخصيات المتعلقة بنسق الرجل الواردة في الرواية:

### 1- أكونكو:

هو بطل الرواية، احد قادة القبيلة، رجل حاد الطباع عزيز النفس ذو كبرياء، بنى نفسه من الصفر كونه لم يرث شيئاً من والده السكير "نوكا"، عُرف بشجاعته وقوته في المصارعة تحسلاً على عدة ألقاب صار بها مفعراً لأهل اوموفيا، تدور حوله أحداث الرواية. عاش الخوف من الفشل طول حياته وظل متمسكا بتقاليد ومعتقدات قبيلته، رفضه لتداعي كل ما كان يستند اليه ترابط قبيلته أدى به الى الانتحار.

### 2- أنوكا:

ليس شخصية بارزة هو والد بطل الرواية، رجل سكير كسول لم يحقق في حياته شيئاً يذكر، كان خوف ابنه من أن يكون شبيهاً به هو من صنع منه شخصية قوية مخالفة تماماً لشخصية الوالد "أنوكا".

### 3- انوي:

ابن أكونكو الوحيد ومصدر عاره الثاني بعد والده، طالما تمنى والده أن يكون مثله قويا شجاعاً لكنه خيب آماله حيث تحول إلى الدين الجديد بعد نفي والده إلى "مبانتا"، تعلم القراءة والكتابة في مدارس المبشرين وصار أحد رجال الكنيسة الأوفياء، صار اسمه "إسحاق" بعد تحوله للدين الجديد.

### 4 - أوبيركا:

صديق أكونكو المقرب، هو سنده في محنته عندما تم نفيه إلى موطن أمه لمدة سبع سنوات، كان يزوره من فترة لأخرى لينقل له أخبار "اوموفيا" اعتنى كذلك بأراضيه الفلاحية

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

أثناء غيابه، بعد انتحار "أكونكو" حزن عليه كثيراً ونظراً لكون المنتحر منبوذاً حسب عاداتهم طلب من المبشرين دفنه.

### 5 – إكيميغونا:

فتى من قرية مجاورة تبناه أكونكو بعد أن تم تقديمه لقرية أكونكو كفدية عن مقتل زوجة أحد سكان اوموفيا، ظل لمدة ثلاث سنوات في بيت أكونكو اهتمت به زوجته الأولى "أناسي"، تعلق به "أكونكو" كثيراً وتمنى لو أنه كان أحد أبناءه نظراً لشجاعته وسرعة بديهته، لكن بعد مدة قتله "أكونكو" امتثالاً لأمر الآلهة "الاوراكل".

### 6 – مستر براون:

أحد المبشرين تميز بارتباطه بالتبشير وابتعاده عن السياسة عكس مستر سميث، كان مسالماً مع سكان قرية "اوموفيا" في فترة توليه رئاسة الكنيسة اعتنق عدد كبير من الناس الديانة الجديدة.

### 7 – مستر سميث:

جاء خلفاً لمستر براون كمترويس للكنيسة، مبشرٌ حاد الطباع انتقد سياسة براون الذي اهتم بالكم أي بعدد معتنقي الديانة الجديدة بدل تعليمهم أصولها الحقيقية، يمثل الاستعمار، هو من قاد أكونكو للانتحار بعدها أمر بدفنه بدلاً عن أقاربه.

### 8 – اينوخ:

أحد معتنقي الديانة الجديدة المتحمسين انقض على أحد مقلدي الأسلاف في احتفالية العبادة السنوية لآلهة الأرض التي تجرى كل سنة بيوم الأحد متباهياً بأنهم لا يجروون على لمس مسيحي، عندما قرر مقلدي أرواح الأسلاف الانتقام منه قرر الاختباء في بيت القسيس لمدة، بعد أن تم تدمير مجمعه اتجهوا إلى الكنيسة وبعد حوار جمعهم مع رئيس الكنيسة

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

"مستر سميث" و مترجمه طلبوا منه المغادرة لكنّه رفض بعد هنية أصبحت الكنيسة كومة من التراب بهذا هدأ غضب روح العشيرة.

### 2- نسقُ المرأة:

المرأة في رواية "الأشياء تتداعي" تقليديّةً بصورة صارمة، حيث يشكل الرجال بؤرة الاهتمام و العيش كما تدور كل أحداث الرواية حول شخصية "أكونكو" الذي يمثل موته نهاية الحدث الجمالي وكذلك الحال "لأنوكا" الذي عاش حياةً صعبةً يتبع فيها خطةً لنيل التقدير، كذلك الأمر لـ "إكميفونا" الطفل الصغير الذي عاش حياة قصيرة، رغم هذا كان لها دور تراجمي بارز نال الكثير من التقدير في الواقع، تم بناء الرواية على هذا المنوال حيث تتداعي الأشياء فعلياً عندما يعجز الرجال الذين مثلوا جوهر الصراع في المواجهة البناءة لحقائق الزمن، لعل النساء وإن كنّ منحن أدواراً محوريّة للحركة في المجتمع أو داخل الرواية فقد جعلنها تتماسك بدل أن تتداعي، في حيزها توظف النساء كأدوات مادية محجوبة عن عمليات صنع القرار الأمر الذي يدل على أنهن غير جديرات بالأفكار العظيمة و العميقة، فشخصيات مهمة "كاكوي في" و غيرها من حريم "أكونكو" اللاتي وصفهن الروائي بالقوة التي تجعلهن يعشن مع اللهب المتأجج نفسه.

"أناسي" الزوجة الأولى العظيمة تعيش بشكل أساسي لتلبية الرغبات الطارئة لرجل عصبى، أما النشاط فيرتبط بالأشغال المنزلية و العطف و التجارة و الزراعة البسيطة دون أن ننسى أن يكنن ضحايا للضرب و الهتك في حالة ثورة الرجل، نجد أن داخل هذا المجتمع حيازة المرأة تزيد من المزايا الاجتماعية للرجل فتوفر له تنوعاً في مذاق الطعام الذي يقدم له، بالإضافة إلى تمكينهم من التخلي عن دورهم الأبوي تجاه أطفالهم، ففي هذا المجتمع تربي المرأة منذ الطفولة لتعتقد أنها و ممتلكاتها حيازة للرجل الذي يجعلها تنجب أطفالاً يحملون اسمه وان دققنا في هذا التصور نرى أن المجتمع الإفريقي هو المسؤول على الموقف التفريقي تجاه المرأة الإفريقية و ليس الكاتب نفسه، فهو كان يعبر عن التجربة الحقيقية لهذه

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

المرأة و رغم الانحيازِ الظاهرِ ضدَّ المرأةِ في الروايةِ إلاَّ إننا نجد الكاتبَ يرفعها إلى درجةِ المسيحِ المنقذِ للمجتمعِ ، فقد تحتمَّ على أكونكو ترك ديار أبيه طلباً للراحةِ و الطمأنينةِ في ارض أمه جراء ما ارتكب من آثامٍ و مغالطاتٍ فصارت "مبانتا" الرمز الأمويَّ الروحيَّ و الماديَّ الذي يُرحب بالطفلِ الجانحِ ، إذ صار لديها واجباً متتامياً في دفعِ و تحليلِ و تطويرِ المجتمعِ الذي قد تمَّ تشويشه من قبل الرجلِ .

تُظهر الروايةُ المرأةَ في شكلِ إكسوارٍ مكملٍ دون دورٍ مركزيٍّ في الحياةِ و هي خاضعةٌ لسلطةِ الرجلِ و إرادتهِ و لا تملكُ حريةَ اتخاذِ القراراتِ المهمةِ ، مهمتها هي إنجابُ الأطفالِ و القيامِ بالأعمالِ المنزليَّةِ و مساعدةِ زوجها ، كما تُظهر لنا الروايةُ ثقافةً تعددِ الزوجاتِ فبإمكان الرجلِ الزواجَ بأكثر من امرأةٍ ، يُعبر تعددُ الزوجاتِ رمزَ رخاءٍ نرى أنَّ البطل أكونكو لديه ثلاث زوجاتٍ بنا لكل واحدةٍ منهنَّ كوخها الخاصَ . نرى أنَّ البطل يُعامل زوجاته بشكلٍ جافٍ و قاسٍ خالٍ من الودِّ و العاطفةِ ، أما هنَّ فيُظهرن له الطاعة كما شعرن بالخوفِ منه في أحيانٍ أخرى ، فهو لم يكن ليغفر خطأً لإحداهنَّ اعتباراً لحبه لها ، إنَّما يُعاقبنَّ على أخطائهنَّ بالعنفِ و ضربهنَّ و هذا ما يبررُ خوفهنَّ من غضبه حتى انه وصل به الأمرُ إلى إطلاقِ النارِ على إحداهنَّ بسببِ مزاحها الذي أثار غضبه ، لكن رغم هذا التعاملِ تبقى الزوجاتِ مطيعاتٌ و لا يُظهرنَّ أي اعتراضٍ على المعاملةِ التي يتلقينها ، يخدمن في البيت كما يساعدهنَّ في زراعةِ البطاطا الحلوةِ و كنَّ فخوراتٍ بهِ و بشجاعته و صلابته التي يُعرف بها في القبيلةِ ، كانت العلاقةُ بينهنَّ طيبةً فلم تكن تحدثُ بينهنَّ صراعاتٌ و نزاعاتٌ و مشاكل الغيرةِ التي تحدث عادةً بين النساءِ . بالإضافة إلى الحياةِ الزوجيةِ أظهرت الروايةُ عاداتِ زواجِ البناتِ في المجتمعاتِ الإفريقيةِ ، حيث يكون النقاشُ حول الزواجِ والخطوبةِ من مهمةِ أهلها ودون طلبِ رأيها في الموضوع كما أنَّ زواجِ الفتياتِ يكون في سنٍ مبكرةٍ حيث يُقدم لنا مثلاً عن أكويكي وخطوبتها وهي في سنِّ السادسة عشر .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

المرأة أم أيضا نرى أنها تهتم بتربية أولادها ورعايتهم، لكن القرار الأخير يرجع إلى الرجل لكن قصة "اكوي في" وابنتها المريضة "إزينا" تظهر لنا التعلق الغريزي للأم بابنتها، كذلك نلاحظ مشاعر أكونكو تطفو على السطح رغم اعتياده عدم إظهار مشاعره، فقد ناضل كلاهما وسعيا إلى استعادة ابنتهما التي كانت توشك على الموت.

لا يتم وضع المرأة في الدرجة الثانية في الحياة فقط وإنما حتى في الموت، هذا ما تظهره حادثة وفاة أكبر رجل في قرية "ايير" و زوجته في نفس اليوم، حيث استغرب الناس عدم قرع الطبول الذي هو عادة من عادات إعلان الوفاة في "أموفيا" ليكتشفوا فيما بعد أن زوجته توفيت في اليوم ذاته مما أدى إلى دفنها أولاً دون إعلان ذلك للقرى المجاورة و بشكل صامت، ليتم بعد ذلك قرع الطبول و إعلان جنازة الرجل، بالإضافة إلى هذا فإن المرأة عندما تموت يُنقل جثمانها إلى قريتها الأصلية حيث وُلدت و تدفن هناك، أما الامتيازات التي تحظى المرأة بها نجدها متمثلة في عادة ارتداء الأولى لخلخال يمتلئ ألقاب زوجها، كما يُمنح لها كأس الشراب الأولى بين النسوة ولا تشرب أخرى قبلها .

### نسق المرأة بعد الاستعمار:

في المرحلة الثانية من الرواية التي تمثل قدوم الاستعمار لم يظهر تغير كبير في حياة النساء حيث لم يتم ذكرهم بشكل بارز، لكن نلاحظ التحاق بعض النساء بالمسيحية من اللواتي يُنجبن التوائم التي تُعتبر مشؤومه في ثقافة القبيلة حيث تم تقبلهم في الدين الجديد، حيث اظهر سخطه على مثل هكذا ممارسات، كل هذه الأمور شكّلت السمات التي بنت نسق المرأة في رواية "الأشياء تتداعي".

أبرز الشخصيات المتعلقة بنسق المرأة في الرواية:

#### 1- زوجات "أكونكو":

1- 1 - أناسي: هي الزوجة الأولى، والدة الابن الوحيد لأكونكو "نووي".

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

1-2- اكوفي: الزوجة الثانية، هي والدة "إزينا" البنت المحبوبة عند والدها.

1-3- أوجوغو: الزوجة الثالثة وهي أصغر زوجات "أكونكو".

1-4- إزينا: طفلة شجاعة وذكية شبيهة بوالدها، طالما تمنى والدها لو كانت ولدا

لافتخر بها أكثر نظرا لشجاعتها.

1-5- تشيلوا: كاهنة اغبالا تمثل الجانب الديني.

### 3- سلطة الأنا والآخر:

عالجت رواية "الأشياء تتداعي" لوضعية الثقافية لقبيلة "الايغبو" فقدمت صورة مفصلة عن الخلفية الثقافية التي شكلت نسقا هويتيا لسكانها، فإلى جانب التقاليد الميتافيزيقية التي دأب عليها سكان القبيلة من إيمان بالقوة الخارقة بالهتهم ولعناتهم وسن قوانين انطلاقاً من هذا الإيمان.

مثلت القبيلة جسماً موحداً كان رأسها حكماء وشيوخ القبيلة غير أن التمسك بهذه الخلفية الهويته شكلتها الطقوس الدينية الوثنية والعادات والتقاليد الاجتماعية الذي يمثل نسق الأنا.

وجد في المقابل نسقا ممثلا بالرجل الأبيض الذي أتى بدين جديد توحيدي يكفر دين القبيلة الأول، أتى ذلك بعبادات جديدة ونظام حكم جديد، نلاحظ أن نسق الأنا في البداية استهان بالرجل الأوروبي وديانته ولم يخله قادر على الصمود أمام آلهته و طريقة عيش القبيلة، لكن سرعان ما بدا الرجل الأبيض يفرض نفسه و يستقطب أعدادا متزايدة من أهل القبيلة أنفسهم دون اللجوء إلى القوة، عن طريق الدين استطاع أن يستميل أعدادا كبيرة من سكان "اوموفيا" بعد ذلك أدرك أهالي الايغبو أن مكونات هويتهم بدأت تتداعي و تتلاشى شيئا فشيئا ولم تعد قادرة على الصمود في وجه الآخر مما دفع به إلى بعض محاولات المقاومة. سرعان ما أحكم نسق الآخر قبضته وبدأ باستخدام القوة وفرض سيطرته.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

يظهر لنا هذا القلق من فقدان الذات وما يُمثلها من خلال بطل الرواية الذي استهان في البداية بدين الرجل الأبيض وما أتى به، لكن سرعان ما أصابه الخوف من مدى الامتداد الذي حققه، ومن أوجه قلق البطل ما نقلته الرواية عنه وهو يسائل نفسه: «كيف لأكونكو الذي يوصف بالهلب النادر أن يُنجب ابناً لم يشبه والده في شيء فيجيب: هل نوي ليس ابني، سأبرحها ضرباً، فلقد خدعتني زوجتي، ثم سرعان ما يُزيل هذا التوجس من فكره ثم يعود التوجس نفسه ليحس برعشة باردة مما يخبؤه المستقبل الرهيب، فتمثل مقاما اجتمع فيه الجدود ينتظرون ما سيقدمه السكان من صلوات و قرابين و صلوات للآلهة، بينما شباب القبيلة يصلون للرجل الأبيض و يعتكفون في كنائسه و يديرون وجوههم عن دين أباؤهم و أجدادهم»<sup>1</sup>

بين هذا المقام شدة العنف الذي عاشه أكونكو فحديث النفس لم يكن سوى شعور الذات بالذنب من تضييعها للإرث الثقافي الذي تورثه الأجيال فنقصه عن واجبه الأسري وعن واجبه الوطني في إطار العشيرة، وعن واجبه القومي خارج قبيلته جعله يعيش لحظة تراجيديا، ولم تكن هذه اللحظة تخص الشخص بعينه بل تراجيديا مجتمع بكامله عندما بدأت مقومات القبيلة تتهاوى شيئاً فشيئاً لنفسح المجال لظهور نسق فكري و ديني جديد، تجسمت مجاسمه في مسح مقومات وجود الأنا و الاستعاضة عنها بأخرى، كانت ركائزها الثقافة و اللغة، ففي الفصل العشرين من الرواية نعثر على حوار بين "أكونكو" و صديقه "أوبيركا" تتبين فيه طبيعة العلاقة بينهما هل يعرف الرجل الأبيض تقاليدنا حول الأرض؟ كيف يمكنه هذا و هو حتى لا يتكلم لغتنا؟ لكنه يقول أن عاداتنا سيئة، حتى إخواننا الذين تبنا دينه أيضا يقولون أن عاداتنا سيئة. كيف تظن أننا يمكن أن نحارب إخواننا بينما انقلب إخواننا علينا إن الرجل الأبيض ذكي جدا لقد جاء بدينه على نحو هادئ وبطريقة سلمية كنا مستمتعين بغبائه و

<sup>1</sup>تشيونوا أتشيبي، رواية الأشياء تتداعي، ص 190.

## الفصل الأول: مظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

سمحنا له بالبقاء والآن اكتسب إخوتنا و عشيرتنا لم تعد تستطيع التصرف كما يجب، لقد أعمل سكينه في الأشياء التي تجمعنا معا فتداعينا.<sup>1</sup>

في الأخير كان مصيرُ أكونكو الانتحارَ حيث لم يتحمل خذلان العشيرة والأسرة عما اقترفه الرجل الأبيض في حق العادات والتقاليد والطقوس واللغة ولم تعد الذات تتمثل وجودها الميتافيزيقي، فكان قرار الانتحار في نظره فعلا ايجابيا وقرارا واعيا يُخفف عنه وطأة تشظي الذات.

### النسق الديني:

يُعتبر الدين أحد مكونات هوية الإنسان، كذلك هو العمود الفقري للمجتمع حيث يحتل مكانة مهمة و أساسية في حياة الناس، يلعب دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية و الفكرية و العاطفية، حسب دوركهايم: «الدين هو نظام موحد من المعتقدات و الممارسات المرتبطة بأشياء مقدسة أي أشياء يجري عزلها و تحاط بشتى أنواع التحريم وهذه المعتقدات و الممارسات تجمع كل المؤمنين بها»<sup>2</sup>

انطلاقاً مما ذكر ندرك أن الارتباط الديني و إيمان الإنسان بمعتقدات معينة مهمة في سيرورة حياته و يحدث أن تتصادم ديانات مختلفة داخل مجتمع واحد ما يحدث نوعاً من عدم الاستقرار الذي يجعل الشخص يدخل في نوع من التشبث، «تضم دول و بلدان قارة إفريقيا مجموعة واسعة من المعتقدات و الديانات التقليدية، على الرغم من أن تلك العادات الدينية تنقسمها أحياناً مجتمعات محلية كثيرة إلا أنها عادة ما تكون فريدة لسكان معينين أو

<sup>1</sup>- تشينوا أنشيببي، رواية الأشياء تتداعي، ص 213.

<sup>2</sup>-مقال غني ناصر حبن القرشي، النظام الديني و المؤسسة الدينية، 20مارس 2019 ساعة 9:20

## الفصل الأول: مظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

مناطق جغرافية معينة<sup>1</sup> «لذا نجد أن في رواية "الأشياء تتداعي" صراعاً بين نسقين متمثلين في الديانة التعددية لقبيلة "الايغبو" و الديانة المسيحية الواردة .

### 1- الديانة التعددية "ديانة قبيلة الايغبو":

مثلت المعتقدات الدينية جزءاً كبيراً من حياة سكان اوموفيا ،حيث ارتبطت العديد من الممارسات التي تدور حولها يومياتهم بمعتقداتهم الدينية و الطقوس مثل أرواح الأسلاف التي هي قوة يهابها الناس و يحسبون لها ألف حساب و يقدسونها كذلك ،فقد كانوا يخافون غضبها و يسعون لإرضائها كما يستشيرونها في أمور حياتهم حتى أنهم يحتكمون إليها في نزاعاتهم و ينوب عنها ممثلين من كبار القبيلة و ذوي الألقاب فينطقون باسمها ،هذا ما نجده في الاحتفال الذي يُقام كل سنة و يجتمع فيه الناس و تعرض القضايا أمام الممثلين ،و نرى هذا في قضية "أوزولو" و خلافه مع زوجته و إخوتها الذين أخذوها منه بعد أن ضربها ،نرى أن الممثل الذي يمثل الغابة الشريرة حضر وأستمع إلى كلا الطرفين و الشهود ثم حكم في القضية حيث أحترم جميع الأطراف حكمه «و قال يا جسد أودوكي ،إني أحييك أجاب أودوكي يدي على الأرض :هل تعرفني ؟أجاب أودوكي لا يمكن لرجل أن يعرفك ،أنا الغابة الشريرة ،أنا لحم جاف يملئ الغم ،أنا نار تحترق بدون حزم حطب ،إذا أحضر نسيبك لك نبيذا دع أختك تذهب معه ،أحييك»<sup>2</sup>.

كما كان الناس يستشيرون وحي التلال والكهوف ليكتشفوا أسرار فشل منتوجاتهم الزراعية وهذا ما حصل مع أونوكا ذات مرة عندما ذهب لاستشارة وحي التلال والكهوف لكي يكتشف لماذا حصاده بائس دائماً. الوحي يدعى "اغبالا" يقصده الناس لاستشارته في قضايا النزاع أو حينما يلزمهم سوء الحظ في خطواتهم فيأتون لمعرفة ما يُخبؤه المستقبل لهم أو لاستشارة آبائهم الراحلين.

<sup>1</sup>-Cheikh Anla diopthe African Orige of civilizations :Myth. or Reality.

<sup>2</sup>-تشيونوا أتشيبي ، رواية الأشياء تتداعي، ص 125 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

كان سكان "اوموفيا" يؤمنون باله الأرض ويقدسونه حيث كانوا يضحون له بديك كل سنة ويدعونهم "أنني" إتباعا لقانون أباءهم ويذبحون آخر في مقام "ايفجيوكو" وهو اله البطاطا الحلوة عندهم. كان حظ كل شخص مرتبط بالله الشخصي يرتبط نجاحه وفشله بحيث اعتبر الناس فشل "أوكا" والد "أكونكو" وعدم تحقيقه لأي لقب في حياته وحصوله على أي ثروة مرتبطا بفشل إلهه الشخصي.

كما آمنت قبيلة الايغبو بالأرواح الشريرة وكانت تخافها وتهبها حيث اعتبرت الغابة الشريرة مقبرة لها، يأخذ الأشخاص المصابين بالأمراض الخبيثة كالجذام والأورام إلى الغابة ويتركون هناك حتى يفارقوا الحياة، وفعلوا الشيء ذاته مع التوائم حيث اعتبروها مسكونة بالأرواح الشريرة حيث كانوا يشوهون ويجرونهم في الغابة ويفعلون الشيء نفسه بالأطفال حيث يموتون وكانوا يدعونهم بأطفال عالم "أوبانجي".

يتوجه الناس إلى رجل طب كان متنبأ لدى العراف "أفا" للاستفسار عن الخطأ، وهذا ما فعله "أكونكو" عند وفاة طفل زوجته "اكويفي الثاني فأخبره أن الأطفال الشريرين عندما يموتون يدخلون أرحام أمهاتهم ليولدوا ثانية ونصحه بأن تزور زوجته في المرة القادمة التي تكون فيها حاملاً بيت أهلها لتكسر دورة الولادة والموت الشريرة وتراوغ معذبها. كانت جثث الأطفال الموتى يُنكَل بها لكي لا تعود الأرواح ثانية، في المقابل كانوا يقدسون شجرة القطن الحريري حيث تعيش أرواح الأطفال الصالحين الذين ينتظرون ولادتهم، تجلس تحته النساء الراغبات في الأطفال .

كانت لعشيرة "اوموفيا" صلة قوية بروح الأسلاف فكل معتقداتهم مرتبطة بالآلهة حتى أن عاداتهم و تقاليدهم متعلقة بهم ،فيقام كل سنة احتفال بعيد الأسلاف يكون فيه أسبوع للسلام يعيش فيه القوم في سلام لتكريم آلهة الأرض الكريمة "انني" فبدون مباركتها لن تنمو المحاصيل ، ذات مرة عند عودة أكونكو من اجتماع الأقرباء لم يجد أحد زوجاته داخل كوخها فغضب لذلك عند عودتها أفرغ غضبه فيها و ضربها و بهذا كسر تقليد أسبوع

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

السلام، زاره كاهن اله الأرض "أني" في كوخه ليوبخه على إثمه الكبير و أمره بان يحضر إلى ضريح "أني" عنزة و دجاجة و قطعة قماش و مائة صدفة لطلب التوبة، نفذ "أكونكو" أمر الكاهن و في بعض القرى كان من المكروه أن يموت شخص خلال أسبوع السلام في "أبوداوني" يرمى الميت في الغابة الشريرة حتى أصبحت عشيرتهم مليئة بأرواح هؤلاء الموتى غير المدفونين و التواقة لإذلال الأحياء .

### الديانة المسيحية :

قدم المستعمر البريطاني إلى "اوموفيا" ووجد أهلها متمسكين بعاداتهم و تقاليدهم، الدين هو الحبل الذي يشد أواصر هذا المجتمع، فقد كان أكثر شيء يُصر سكان القرية على التمسك به و المحافظة عليه حيث يكيّفون حياتهم وفق طقوسه، كان من الصعب استمالتهم إلى دين جديد يقوم على عبادة الثالوث المكون من الإله و الابن و روح القدس المغاير تماما لديانة "الايغبو" التي تقوم على التعدد و الإيمان بالآلهة المتعددة و بروح الأسلاف الذي يمثل أرواح موتاهم التي ترشدتهم.

في البداية استقبلوا الديانة المسيحية و القساوسة الذين يمثلونها بالاستخفاف و الاستهزاء فكيف لشعب أمن طوال حياته بعدد كبير من الآلهة و سعى للتقرب منها لكسب رضاها و تجنب سخطهم و استبدادهم بدين يقدر ثلوث سماوي و يعتبر آلهتهم الأرضية مزيفة و مجرد أصنام لا تقوى على شيء وان الأرواح الشريرة التي يهبونها غير موجودة من الأساس ، كان هذا الكلام أشبه بحكاية خرافية بالنسبة لهم و مدعانا للضحك أحيانا .

البريطانيين اظهروا أنهم أتوا للسلام يحملون دين النور الذي يدعو إلى الحق و الرحمة حيث يتساوى الجميع و لا يقصى احد و لا يلعن احد «كلنا أبناء الله» قال القسيس براون ،لم يطلبوا أي شيء من السكان المحليين سوى قطعة أرضية يبنوا فيها كنيستهم بعد تشاور كبار القبيلة خرجوا بقرار نكي يظهر للبريطانيين عجز و هو منحهم قطعة أرضية في

## الفصل الأول: مظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

الغابة الشريرة و أن ينتظروا فقط الأرواح الشريرة كي تدمر كنيسة الرجل الأبيض، تلقى البريطانيين الأرض بسرور و شرعوا في بناء كنيستهم، انتظر سكان "أموفيا" أن تتدمر الكنيسة و أن يلقي الرجال البيض حتفهم لكن لم يحدث أي من هذا ما جعلهم يندهشون، بدا القساوسة في استمالة الناس و نشر فكرة أن هذا الدين يستقبل الجميع ولا يرفض أحداً، فتوافدت المجموعات المنبوذة في اوموفيا و الناس الذين لا يحملون آيت ألقاب و لا تسمع كلماتهم، لم يستشعر الناس أي خطر كون المتحولين ليسوا أناساً ذوي مرتبة اجتماعية مهمة إضافة إلى رجال الدين لم يبدوا أي رد عنيف ضد الناس فقد كانوا مسالمين .

بعد مرور الوقت بدا عدد المتحولين يزداد و بدأ هذا الأمر يخيف كبار قبيلة الايغبو، فالدين المتعدد الذي ينتمون إليه لم يعد قادراً على إبقاء الناس مؤمنين به فبعض حاملي الألقاب تركوا ألقابهم وانظموا إلى المسيحية و تركوا آلهتهم، فلم يكن ينضم إليها ليس وضيعي النسب و المنبوذين فحسب و لكن أحياناً نجد كبار الشأن مثل هذا الرجل «كان أغبوي في أغوونا» الذي حصل على لقبين و الذي قطع كالمجنون خلال لقبه و رماه بعيداً لينضم إلى المسيحيين<sup>1</sup>، وكذلك "تووي" ابن أكونكو- بطل الرواية - جذبته الترانيم التي كان يسمعها كلما يمر من بالقرب من الكنيسة «مرّ نووي مرتين قرب البناء الصغير المبني من التراب الأحمر و الخشب دون استجماع شجاعة كافية للدخول، سمع صوت غناء و مع أنه أتى من رجال قلائل فقد كان عالياً و دالاً على الثقة»<sup>2</sup>.

كان هذا الدين الجديد يجذبه منذ أول يوم لكنه أبقى هذا الانجذاب سرياً لخوفه من أبيه، بعد مدة وجده ابن عم "أكونكو" مع المسيحيين و اخبر والده الذي تلقى الخبر بشكل سيء جداً وأصابه غضب عارم فكيف لابنه أن يعمل شيئاً كهذا و هو الذي طالما سخر من ديانة المسيحيين و يسعى لإرضاء آلهته، انتهى الأمر ب"نووي" أن ترك البيت و قرر ترك القرية

<sup>1</sup> تشينوا أتشيبي، رواية الأشياء تتداعى، ص 210 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص186.

## الفصل الأول: مظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

كلها و التوجه إلى اوموفيا حيث مدرسة البيض لتعلم القراءة و الكتابة ، الأمر الذي استقبله معلمه "كياغا" بالترحيب «طوبا لمن يترك أمه و أباه لأجلي ، أولئك الذين يسمعون كلماتي هم أبي و أمي»<sup>1</sup> ، كان نووي سعيدا لترك أبيه و كل ما امن به و اللحاق بما يؤمن به هو .

كان ثمة شعور متزايد بأنه قد يكون يوجد شيء ما فيه بعد ذلك كله شيء مشابه على نحو مبهم ضمن حالة من الجنون العارم ، وكان هذا الشعور يتزايد بسبب السيد "براون" وهو المبشر الأبيض الذي سعى إلى منع رعيته من إغصاب العشيرة بهذا كسب احترام العشيرة لأنه سعى بشكل هادئ في دينه و كبح حماس أتباعه ، كما كون صداقات مع بعض كبار العشيرة أمثال "أكونا" الذي كان يمضي معه الكثير من الوقت يجرون فيه حوارات عن دينهما دون أن يستميل أي واحد منهما الآخر إلى دينه ، «وقد سأله في إحدى المرات حول التوحيد الذي يدعوا ليه الرجل الأبيض و التعدد الذي يؤمن به سكان الايغبو ، تقول انه يوجد اله أعلى واحد خلق السماوات و الأرض نحن نؤمن به أيضا و ندعوه "شوكوا" و قد خلق العالم كله و الآلهة الأخرى، فأجاب عليه السيد "براون" :«لا توجد آلهة أخرى ،شوكوا يعد الإله الوحيد و الآخرون كلهم مزيفون أنت تتحت قطعة من الخشب مثل تلك»<sup>2</sup> ،فاخبره "أكونا" أن هذا الخشب يصنع من الأشجار التي خلقها "شوكوا" و هي رسله و يستطيعون التقرب منه عبرها مثل رؤساء الكنيسة عندهم لكن "براون" اخبره أن الإله ليس شخصا كي يحتاج إلى مساعدين . وقد ربط هذا الحديث بين الديانة التوحيدية و الديانة التعددية و اظهر لنا أن القسيس "براون" يُحاول إيصال فكرة أن ديانتها في الأساس متقاربة و الإله الواحد موجود في الثقافتين و هو الإله الحقيقي أما الآلهة الأخرى فهي مخض خرافات.

<sup>1</sup>-تشيونوا اتشيبي ، الأشياء تتداعى، ص188.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، ص 215.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

بعد رحيل القس "براون" أتى القس "جيمس سميث" خلفاً له و قد كان مختلفاً تماماً عنه ،انتقد سياسة "براون" و حشده لأعداد كبيرة للكنيسة دون أن يعوا حتى الأشياء الأساسية في الدين المسيحي كالثالوث المقدس و القربان المقدس ،كما أيد التابعين المتحمسين و قد بدؤوا يظهرن بعض الهجومية ،فقد قام "اينوخ" و هو أحد أكثر أتباع المسيحية حماساً بانتزاع قناع أحد ممثلي أرواح الأسلاف خلال المراسيم السنوية التي تجرى لتكريم إله الأرض و كانت أكبر الجرائم التي يرتكبها رجل ما جعل ثائرة الممثلين تنثور ويتوجهون للمسيحيين للانتقام و انتهى بهم الأمر بحرق الكنيسة .

خاب أمل "اينوخ" لأنه كان ينوي هو وبعض رفاقه إشعال جهاد مقدس، لم يمر هذا الفعل بدون عقاب فقد تم سجن زعماء القبيلة و طلب المفوض غرامة لإطلاق سراحهم وهنا نلاحظ أن الوجه السلمي للمستعمر بدأ بالتلاشي و بدأ الناس يفهمون أن الدين الجديد الذي ينادي به الرجل الأبيض إنما هو في الحقيقة تفكيك لتركيبية مجتمعهم و قطع للحبل الذي يربطهم و يوحدهم ،بدأ هذا واضحا في خطاب أحد زعماء القبيلة "أوكيكا" في اجتماع عقد بعد الشعور العام بالتهديد و قد تحدث عن أبناء العشيرة قائلا :«تركوا العشيرة و مضوا كل في طريقه نحن الذين هنا في هذا الصباح بقينا صادقين مع أبائنا ،لكن إخوتنا تخلوا عنا و انضموا إلى غريب ليلوثوا أرض أجدادهم ،إذا حاربنا الغريب فإننا سنضرب إخوتنا و ربما ارقنا دم رجل من العشيرة ،لكننا يجب أن نفعل هذا ،لم يكن آباؤنا يتصورون شيئا كهذا ،إنهم لم يخذلوا إخوة لهم قط»<sup>1</sup> .

من خلال هذه الخطبة يظهر لنا أن المجتمع انقسم فعلاً إلى جزء بقي محافظاً على رسالة الآباء و جزء آخر تبع الرجل الأبيض و ترك كل شيء خلفه ،مواجهة الرجل الأبيض تعني مواجهة أبناء أرضهم و إخوتهم ،هذا يظهر التلاحم الموجود بين الاستعمار و المسيحية حيث يقول "فرانس فانون": إن الكنيسة في المستعمرات هي كنيسة بيض هي كنيسة أجنب

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ص 241 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

إنها لا تدعو إنسان المستعمرات إلى طريق الله<sup>1</sup>. هذا يظهر الجانب المحتال للاستعمار و كيفية شلله بشكل مسالم في البداية و تفكيك معتقدات المجتمع و بنيته ليتمكن من السيطرة عليه بسهولة فيما بعد.

### النسق السياسي:

للسياسة حضور قوي في الرواية الإفريقية فتعرض البلدان الإفريقية للاحتلال المستمر جعلها تعيش تغيرات سياسية عميقة و أنماط حكم جديدة مغايرة للتي ألفوها ، وبالطبع كان لهذه التغيرات تأثيرا على الإنسان الإفريقي و حياته ، كما ادخلها الكتاب الأفارقة بين سطور رواياتهم فاحتلت مكانة مهمة فيها كونها تمثل جزءا مهما من الحياة الإفريقية التي ينقلونها ، «لذا نجد أن الرواية الإفريقية من خلال تسلسل أحداثها جعلت من السياسة محورا فكريا و خاصة في الرواية المعاصرة مهما تنوعت مواضيعها و تعددت أبعادها الاجتماعية و الواقعية ، جنحت إلى الحدائث الشكلية و التنوع الفني فإن الرواية تعبر عن الأطروحة السياسية إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة<sup>2</sup> تستند الرواية السياسية أيضا إلى «بلاغة الإقناع و الدعاية و التحريض و الالتزام و تبليغ الأطروحة المقصودة بشتى الوسائل لان الغاية تبررها و بعضها»<sup>3</sup>.

«يشير النسق السياسي إلى مجموعة التفاعلات السائدة في أية وحدة سياسية مع تأكيد العلاقات المتبادلة بين أطرافها و عبر إبطار هذا النسق السياسي تدخل عناصر و مكونات كثيرة كالدولة و القوة و صناعة القرار»<sup>4</sup>

<sup>1</sup> محمد الميلي ،فرانز فانون و الثورة الجزائرية ،ص 50 .

<sup>2</sup> جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخيل السياسي، ديوان العرب لمنبر حر للثقافة والفكر الأدبي، 11 مارس 2007،  
<http://diwanalarabi.com>

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

<sup>4</sup> طه الوادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، دط، دت، ص 35.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

ويشكل النسق السياسي في رواية "الأشياء تتداعي" وترا حساساً ساهم بشكل أساسي في بناء الأحداث.

### 1- الهوية:

حسب قاموس "المنجد" باللغة العربية<sup>1</sup> فإن تعريف الهوية هو: حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية.

وهي الظروف والصفات التي تجعل من الشخص مميزاً ومحدداً وبهذا تكون مرتبطة بالتمييز بين الأشياء.

عرف مفهوم الهوية توسعاً وتشعباً بعد أن صار حقلاً خصباً للدراسات الأنثروبولوجيا والنفسية والاجتماعية وأصبح يستخدم مصطلح "الشخصية" تحديداً في كثير من الأحيان كمرادف للهوية رغم الاختلاف الكبير حول هذه المسألة في غياب تعريف جامع. يعود هذا الاختلاف لانصباب علماء النفس على الجانب النفسي والفردي، بينما يركز علماء الاجتماع على الجانب الاجتماعي لكن في الغالب تكون العناصر المكونة للهوية الفردية هي ذاتها المكونة للهوية الجماعية أو تم الاصطلاح على تسميتها بالهوية الوطنية أو القومية، فالأمر متعلق بمجموعة من البشر الذين يسكنون رقعةً جغرافيةً معينةً ويحملون اسماً يعرفون به و ينتمون إلى عرق غالب أو أعراق متعددة تلاحمت مع مرور الزمن و شكلت هوية مشتركة.

أقرت رؤى ما بعد الحداثة التعدد الهوياتي حيث يمكن للإنسان أن يمتلك فكرةً موحدةً عن هويتهم وإنما يمتلكون العديد من الهويات فاللغة تمنح الإنسان انتماءً هويتياً ويمنحه الدين والأفكار هوية ثانية والانتماء المناطقي أو الوطني هوية ثالثة وفي الرواية نجد أن هوية الكاتب حاضرةً من خلال شخصياته حيث تصور لنا الشخصيات الصراع القائم بين مكونات هوية الشعب النيجيري والإنسان الإفريقي عامة وبين العناصر الدخيلة عليه.

<sup>1</sup> قاموس المنجد، معلوف دط، ص 564/565 .

### 2 – الهوية في رواية الأشياء تتداعى:

تناولت رواية الأشياء تتداعى ثلاث مراحل زمنية متتالية ومتداخلة تدور أحداثها في إحدى قرى مدينة أونيشا على الضفة الشرقية لنهر النيجر في شرق نيجيريا، تدور المرحلة الأولى حول مرحلة التصدع العميقة التي طبعت السنوات الأولى من الاتصال بالحضارة الأوروبية حيث سعى الكاتب قبل ذلك إلى نقل صورة الحياة قبل وصول الاستعمار وبث الروح في جسد الثقافة الإفريقية فراها مجسدة أمامنا بكل ما تحمله من ثراء وعادات وتقاليد، ثم تأتي المرحلة الثانية التي تدور حول المقاومة وتعكس حالة الاغتراب التي يعيش فيها "أكونكو"

بطل الرواية وتظهر حالة الاغتراب التي يعيشها بعد مجيء الاستعمار ثم تأتي المرحلة الثالثة ويأتي معها الإحباط الذي ضرب مجتمعات ما بعد الكولونيالية بعدما بسط الخطاب الامبريالي سلطانه على جميع أوجه الحياة وصبغها بالصبغة الأوروبية.

في هذه الرواية يعرض "أتشيبى" حياة قبيلة "الايغبو" عندما تعرضت للاستعمار الانجليزي ومن خلال هذا النقل لحياة إحدى القبائل الإفريقية وإرثها الثقافي ومقاوماتها للقوى الاستعمارية ويقدم شخصية "أكونكو" كنموذج للرجل الإفريقي الخالص الذي يبقى متمسكاً بهويته الدينية والثقافية.

على مدى الرواية يحاول أكونكو وعدد من أبناء القبيلة مقاومة التغيير ففي الفصل العشرين نرى أنه يستقبل أوبركا لمناقشة التغييرات التي طرأت على القرية بعد أن غادرها لمدة بسبب نفيه فيخبره "أوبركا" أن المبعثر الانجليزي في أوموفيا يشوه عادات القرية ويصفها بالشريرة «كيف يمكنه ذلك وهو لا يتكلم حتى لغتنا؟ لكنه يقول أن عاداتنا سيئة، وحتى إخوتنا الذين تبنا دينه أيضاً يقولون أن عاداتنا سيئة»<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> تشينوا أتشيبى، رواية الأشياء تتداعى، ص 213.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

نلاحظ كذلك ناقوس الخطر الذي يدقّه "أتشيبى" بشأن الهوية في مشهد عودة "أكونكو" إلى اوموفيا لينفاجاً بكل التغييرات التي طرأت على اوموفيا و في هذا السياق يقول الراوي: « كانت اوموفيا قد تغيرت فعلا خلال السنوات السبع التي أمضاها أكون كوفي المنفى<sup>1</sup> كما اجتاحت في هذه الفترة مؤسسات المستعمر التي لم يعهدها، هناك الكثير من الناس الذين كانوا ينظرون إليها على أنها شرٌّ مطلقٌ لكنها بقيت تشغل تفكيرهم و أحاديثهم .

على غرار أكونكو كان والد "تشينوا أتشيبى" في إحدى قرى "الايغبو" وعانى كما عانى بطل الرواية من التغييرات التي لمست المجتمع بسبب الاستعمار ومن .... التي حتمت على أرواح سكان القبيلة. في كتاب " ايزنوا أوهايتو" "تشينوا أتشيبى" كتاب في السيرة 1997 يذكر عودة والد أتشيبى إلى قريته في سنة 1935 مع أسرته و يصف التغييرات التي وجدها و التي سببت شرخاً في بناء القبيلة و يوضح أن جزءاً كبيراً من هذا التحول لم يكن فقط ناتجاً عن مؤسسات الحكم التي سيطرت على الحياة و إنما أيضاً بسبب النظام التعليمي الجديد فقد اختفى نظام المشافهة الذي كان سائماً و تقليداً سائداً في مجتمع "الايغبو" و حل محله تعليم نظامي يقوم على الكتب المدرسية و وضعها الإنجليز بشكل يتلاءم مع أهدافهم الاستعمارية و يخلص "أوهايتو" إلى أن هذا الانفصال عن الثقافة المحلية دفع ب" أتشيبى" لمواجهة العديد من أوجه أزمة الهوية التي واجهتها شخصياته فقد عبر "أتشيبى" عن نفسه في الرواية الخفائش في الحكايات الشعبية، فلا هو إلى الطبول و إلا إلى الثدييات.

1 - المصدر السابق، ص 210 .

### 2- متغيرات السلطة:

#### 2-1- سلطة القبيلة:

يرسم "تشيونوا أتشيبي" في روايته عالم القبيلة بمفرداته و يصور لنا حياة عشيرة أموفيا التي تنتمي إليها قبيلة الايغبو و طريقة حياة أفرادها ضمن نظام تُسن فيه القوانين التي تحكم حياة الأفراد من خلال القبيلة، يُلزم الجميع بالامتثال لهذه القوانين كما توضع عقوبات لمن يخطا بتجاوز هذه القوانين ، يحصل الأفراد كذلك على الاحترام و التقدير وفق طرق معينة خاصة بالقبيلة حيث نجد في الرواية أن «أكونكو قد خلق أمورا عظيمة كان لا يزال شابا لكنه اشتهر بأنه أعظم مصارع في القرى التسعة .و كان مزارعا غنياً و عنده مخزان ممتلئان بالبطاطا الحلوة ،تزوج ثلاث زوجات ، توج بلقبين و أبدى براعة عالية مدهشة في حربين بين العشائر»<sup>1</sup>.

التقدير في المجتمع لا يناله المرء إلا بعدد مخازن البطاطا التي يملكها وكذلك الألقاب التي تمنح له حيث لا يعتبر من لا يملك أي لقب رجلا بل امرأة كحال والد "أكونكو" الذي لم يتمكن طوال حياته من الحصول على أي لقب ما جعل منه رجلا من دون تقدير حتى من طرف ابنه.

الصراعات التي تحدث في القبيلة حتى الصراعات العائلية يقع حلها على عاتق حكماء القبيلة حيث كان يقام احتفال ضخم يجتمع فيه كل أفراد القبيلة تحل فيه النزاعات و تقام فيه المحاكمات حيث يجلس حاملي الألقاب في صف و يأتي ممثلين مرتدين أقنعة في شكل أرواح الأسلاف ليطلقوا الأحكام في القضايا التي تمثل أمامهم وفق قوانين القبيلة التي سنها الأسلاف و لا يزال الأحفاد يخضعون لها.

<sup>1</sup> تشيونوا أتشيبي، رواية الأشياء تتداعي، ص 21.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

وان دلّ هذا الأمرُ على شيءٍ إنّما يدلُّ على تعلق الأشخاصِ و خضوعهم للقانون القبليّ، و قد شنوا مثلاً عن ذلك من خلال قضية "أزولو" الذي ضربه أشقاء زوجته و أخذوها منه رغم أنّهُ تزوجها بماله وما يملك من البطاطا الحلوةِ ، ولم يكن الحكمُ ينطلق إلا بعد الاستماع للطرف الثاني حيث دافع شقيق الزوجة عن موقفه و إخوته حيث قال أن الزوج يعتدي على زوجته بالضرب و قد تسبب في إجهاضها ،وبعد السماع إلى الشهود أيضاً نطق ممثل مجموعة روح الأسلاف بالحكم حيث طلب من أزولو أن يعتذر من انسابه ، امتثل الجميع للحكم ومن خلال الحديث بين مختلف أطراف القضية تظهر مصطلحات الامتثال لأحكام الأسلاف التي تمثل قانون القبيلة مثل «يا جسد اوزولو هل تعرفني» فأجاب أزولو «كيف أعرفك يا أبي ،أنت خارج حدود علمنا»<sup>1</sup>.

يمتثل شعب الايغبو في مختلف مناحي الحياة لأحكام القبيلة كالزواج حيث يعرض لنا تشينوا في الفصل الثاني عشر ابنته أوبيركا وفق العادات والتقاليد حيث تقدم قدور النبيذ كهدايا.

لم يكن كبار القبيلة يطبقون القوانين داخل القبيلة فحسب بل شملت أيضاً التعاملات الخارجية والعلاقات مع القرى المجاورة في حالات الحرب و السلام ،رأينا هذا من خلال الحادثة التي عرضها أتشيبي عندما قتلت أحد بنات قرية اوموفيا من طرف شخص من أهل "موباينو" ،حيث قرر أفراد القبيلة العمل بالقانون المعتاد الذي يطبق في مثل هذه الحالات والمتوارث عن الأسلاف و هو أحد القوانين التي تسيطر التعامل الخارجي مع القبائل الأخرى مع القبائل الأخرى ،في هذه الحالة تم الاتفاق على تخيير "موباينو" بين خوض الحرب أو تقديم شاب و عذراء كهدية «وفي النهاية تقرر إتباع مسار العمل المعتاد في مثل هذه الحالات وتم إرسال إنذار نهائي فوراً إلى "موباينو" يطلب منهم الاختيار بين الحرب من جهة ،ومن

<sup>1</sup> تشينوا أتشيبي ، الأشياء تتداعى، ص125 .

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعى

جهة أخرى تقديم شاب و عذراء بمنزلة فدية «، وقد وافقت "موباينو" على الاتفاق لخشيتها مجابهة "اوموفيا" كونها معروفة بقوتها في الحرب و السحر.

### 2-2- السلطة بعد مجيء الاستعمار:

بعد وصول المستعمر البريطانيّ إلى نيجيريا تغيرت الأمور من ناحية السلطة، عرفت قبيلة "الايغبو" نظام حكم لم تعرفه من قبل و هو الحكومة، حيث تأتي الأوامر المسيرة للبريطانيين من قبل المملكة البريطانية، نجد حديثا دار حول هذا الموضوع بين القسيس "براون" و "أكونا": «إن رئيس كنيستك موجود في بلادك و أرسلك إلى هنا رسولا له، وأنت عنيت أيضا رسلك و خدمك أو دعني أخذ مثالا آخر، مفوض المنطقة لقد أرسله ملكك، قال المترجم من تلقاء نفسه لديهم ملكة»<sup>1</sup>

لم يعرف سكان "الايغبو" من قبل نظام حكم قائم على سيطرة شخص واحد، فالنظام الوحيد المتوارث عندهم هو الحكم القبليّ القائم على حكم مجموعة من زعماء القبيلة، بالإضافة إلى نظام الحكم فقد أتى الرجل الأبيض بالمحكمة التي يحكم فيها مفوض المنطقة الذي عينته الملكة بعدما كان الاحتكام في النزاعات يرجع إلى روح الأسلاف «أنشأ الرجال البيض حكومة أيضا، فقد بنوا محكمة حيث يحكم مفوض المنطقة في القضايا بجهل، كان لديه رسل المحكمة الذين يحضرون الرجال إلى المحكمة»<sup>2</sup>، كان الرسل الذين ترسلهم المحكمة و الذين أتوا من "امورو" على ضفة النهر الكبير حيث تمركز البريطانيون أول مرة و بنوا مركزهم التجاريّ و الدينيّ والحكوميّ.

كان سكان "اوموفيا" ينظرون إلى هؤلاء الرسل بكره و يعتبرونهم مستبدين و متعجرفين وكانوا يطلقون عليهم اسم "كوتما" أو "الأرداف الرمادية" بسبب السراويل التي يرتدونها. كان

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، 206.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 211.

## الفصل الأول: تمظهرات النسق السوسيوثقافي في رواية الأشياء تتداعي

الرجل الأبيض يضع الرجال الذين اخترقوا قوانينه في السجن ويتعرض للضرب من قبل رسل المحكمة، بالإضافة إلى معاقبتهم بالعمل كل صباح في تنظيف المجمع الحكومي وإحضار الخشب للمفوض ورسله. لقد كان بعض السجناء رجالا ذوي ألقاب و حسب تقاليدهم يستحقون الاحترام و لا يقبلون معاملة الذل هذه، كان الشعور بالألم و الذل يملئ نفوسهم و لم يجدوا طريقة يعبرون بها عن حزنهم سوا الغناء أثناء العمل "كوتما الأرداف الرمادية يليق به لن يكون عبدا، الرجل الأبيض بلا عقل، يليق به أن يكون عبدا"، كانت هذه العبارات تزعج الحراس فيقومون بضربهم ، لكن الأغنية انتشرت بين سكان "اوموفيا" الذين يؤمنون بأنهم أناس أحرار متمسكين بعاداتهم و تقاليدهم وأن هذا الرجل الأبيض هو في مقام العبد و لا يملك عقلاً و أن كل القوانين التي يسنها و يعتبرها إخلالاً بالنظام إنما هي جاءت لتفكيك النظام الأصلي "للايغبو" و إضافة بهدف السيطرة عليهم حيث نجد الكاتب الزنجي "فرانس فاتون" تحدث عن هذه النقطة: «لسنا نحتاج إلى الذكاء و لكن إلى القليل من الشجاعة المعنوية لكن نعرف بأن الدول الرأسمالية لا تحمل الشعوب المستعمرة العقيدة المسيحية والملبس والذوق الجمالي بدافع الحضارة لكنها تريد أن تغرس عند كل مستعمرة عقلية تتبع الأوروبي فتدفعه لشرب الخمر إضعافاً لبدنه و إرادته حتى تتمكن من استغلاله بسهولة»<sup>1</sup>

هنا يظهر لنا أن ما يحمله المستعمِر من أمور مغرية تجذب المستعمِر ما هي في الحقيقة إلا وسائلٌ لهدم ما كان عليه المستعمِر يؤمن به بهدف السيطرة عليه بسهولة. بهذا الشكل رأى سكان "الايغبو" لقوانين التي أتى بها الرجل الأبيض، شكّل نظام السلطة الذي كان يحكم قبيلة الايغبو ونظام السلطة الجديد الذي أتى به المستعمِر والصراع القائم بينهما اللبنة التي بنى عليها النسق السياسي في رواية "الأشياء تتداعي".

<sup>1</sup> محمد مليلي، فرانس فاتون و الثورة الجزائرية، سجد للطباعة الشعبية، الجزائر، ط1، 2007، ص 22.

# الفصل الثاني

## 1- مفهوم الكولونيالية:

تعني كلمة كولونيالية حسب قاموس أكسفورد للغة الانجليزية مزرعة أو مستعمرة وهي مشتقة من كلمة كولونيا Colonia، المستعمرة حسب المعجم ذاته مجموعة من الناس يستقرون في موقع جديد و يتكلمون جماعة خاضعة لدولتها الأم أو مرتبطة بها، ثم تتشكل المستعمرة و تتكون شيئا فشيئا عن طريق المستوطنين و سلالتهم ما دامت الرابطة مع الدولة الأم باقية.

حيث نرى أن في رواية "الأشياء تتداعى" أتى المستعمرين من ارض بعيدة متمثلة في بريطانيا إلى بلد إفريقي "نيجيريا" بهدف استعمارِه ،وكان المبشرون أول من مهد الطريق لهذا الاستعمار «كان المبشرون قد جاؤوا إلى اوموفيا و بنوا كنيسةَهم»<sup>1</sup>.

كما استخدم "بيل إشكروفت" مصطلح الكولونيالية ليشير إلى الفترة التي تكون قبل مرحلة الاستقلال «فترة الحكم الاستعماري داخل المستوطنات قبل حصول هذه الأخيرة على الاستقلال كما يعتبرها أيضا ذات أهمية لتحديد الشكل المحدد للاستقلال الثقافي الذي تنامي بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة»<sup>2</sup>

ونجد أن "تشرينوا اتشيببي" تكلم عن هذه المرحلة انطلاقا من الفصل السادس عشر إلى الفصل الخامس و العشرون وذكر فيه مجيء الاستعمار و كيف وضع أرجله في الأرض النيجيرية ثم ثبتها عن طريق زرع ثقافته و ديانته و أفكاره «كان المبشرون قد جاؤوا إلى اوموفيا و بنوا كنيسةَهم هناك و استمالوا إليهم بعض المتحولين و كانوا يرسلون الدعاة

1- تشرينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 178 .

2- بيل إشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر أحمد الروبي، المركز القومي للترجمة القاهرة، الطبعة الأولى، ص105.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

إلى البلدات و القرى المحيطة ،كان ذلك مصدر حزن كبير لزعماء العشيرة «<sup>1</sup> ومن الواضح أن هذا الغزو الثقافي خلف تبعات في المجتمع النيجيري .

عند بحثنا في قواميس الترجمة نجد أن كلمة " colonialisme " ترادف كلمة الاستعمار في اللغة العربية و يُعرفها إسماعيل عبد الفتاح في قاموس المصطلحات السياسية بقوله :« الاستعمار أو الاستعمارية هي نزوع الدول الكبيرة لفرض سلطانها و إرادتها على البلدان الأخرى و الاحتفاظ بهذه السيطرة بمختلف الوسائل السياسية، و الاقتصادية و العسكرية و محاولة تغيير هوية البلدان المستعمرة، و ربطها بالدول الاستعمارية ربطاً عضوياً و لغوياً و ثقافياً و اقتصادياً و استغلال ثرواتها ، و أيضا إقامة المشروعات المتعددة فيها »<sup>2</sup>

لنرى أن هذه السيطرة بادية وواضحة في سطور الرواية، إذ عرض الكاتب أمثلة عليها، يقول أن الرجال البيض «أتوا قبل سنوات و بنوا مركزهم الديني و التجاري و الحكومي»<sup>3</sup>، نستنتج من خلال هذا أن الحكومة البريطانية فرضت سيطرة دينية عن طريق التبشير؛ و حكومية عن طريق سن القوانين و إجبار الناس على الامتثال لها؛ و تجارية عن طريق السيطرة على التعاملات التجارية .

فالقضاء على الهوية الوطنية والسيطرة على جميع مناحي الحياة يأتي متزامناً مع الاستلاب الاقتصادي و سلب أراضي الدول المستعمرة و يأتي هذا كمقدمة لفرض المستعمر لحضارته و فكره بالقوة. و التعرض لسيطرة الآخر يأتي بشكلين إما عن طريق الزحف العسكري أو عن طريق الاتفاق المسبق بشكل الانتداب أو الوصاية بحيث تصنع الدولة الضعيفة نفسها تحت حماية دولة أقوى منها لا تشمل كلمة الاستعمار فقط توسع القوى

1 - تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 178 .

2 - إسماعيل عبد الفتاح، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، ص 39

3 - تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 211.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

الأوروبية في الأراضي الآسيوية ، الإفريقية و الأمريكية انطلاقاً من القرن السادس عشر و ما بعده بل يشمل كل التوسعات الاستيطانية بدايةً من القرن الثاني عشر ميلادي وصولاً إلى الاستعمار الأوروبي بما في ذلك الحروب الصليبية و الفتوحات الإسلامية فكلاً تعتبر ممارسات استعمارية<sup>1</sup>

إنّ الدمار الذي يحدثه الاستعمار في الأشخاص من حيث إدراكهم لهويتهم يأتي معه دائماً استغلالاً لثروات الأراضي التي يتم احتلالها، ليليه بعد ذلك استعمار حضاري حيث يطمس المستعمر حضارة الشعوب المحتلة و يضع مكانها حضارته، و هذا تماماً ما حدث في اوموفيا فقد تكلم أتشيبي عن استغلال الثروات التي تعرضت له نيجيريا على يد الاستعمار البريطاني «فقد انشأ مخزناً للتجارة و للمرة الأولى أصبح زيت النخيل و الندرة أشياءً غالية الثمن و تدفقت أموال كثيرة إلى "اوموفيا"»<sup>2</sup> .

وتكون نظرة المستعمر للمستعمر نظرة تعالي فهو يضعه في مرتبة أدنى ويكون إطار العلاقة بينهما محدد بالاستغلال و خضوع في شتى مجالات الحياة سواء في الجانب الاجتماعي أو الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي، فالمستعمر يفرض دائماً على قوانين معيارية عن التي يتعامل بها في بلده على البلد الذي يستعمره.

حيث أنّ المستعمر ينصب نفسه دائماً بمرتبة الفاتح الذي يحضر معه الحضارة و ينقذ هذه الشعوب الدونية من جهلها و يخرجها إلى نور الحضارة، هذا النوع من التعامل نجده حاضراً في الرواية بشكل كبير فالمستعمر البريطاني لطالما اعتبر نفسه حاملاً للتقدم و الحضارة و نظر لسكان اوموفيا باستهتار و تعالي و رأوهم في مرتبة دنيا و يظهر هذا في عدة مواضع مثل «سبب وصول المبشرين حركة كبيرة في قرية مباننا ، كان يوجد

<sup>1</sup> - ينظر أنيا لومبا ، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ، تر د/محمد عبد الغاني غنوم ، دار الحوار، ص

<sup>2</sup> - رواية الأشياء تتداعى ، تشينوا أتشيبي، ص 24 .

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

ستة منهم و احدهم رجل ابيض .خرج كل رجل و امرأة لرؤية الرجل الأبيض ،تزايدت القصص حول هؤلاء الرجال الغرباء منذ أن قتل احدهم في "أبامي" و ربط حصانه الحديدي إلى شجرة القطن الحريرية المقدسة لذلك جاء الجميع لرؤية الرجل الأبيض <sup>1</sup>

تظهر لنا هذه الفقرة انبهار الناس بالرجل في محيطهم ويظهر لنا الرجل الأبيض في فقرة مبهرة للإنسان الأسود إلى درجة أن الجميع خرجوا من منزلهم لرؤيته.

يظهر هذا التعالي أيضا في الدين فالأوروبي يعتبر ديانته كخلاص لهؤلاء الناس فيصفاها في منزلة عليا و يضع معتقداتهم في مرتبة سفلى حيث يقول أحد المبشرين: «لقد أرسلنا هذا الله العظيم نطلب منكم التخلي عن طرقكم الشريرة و آلهتم المزيفة و التوجه نحوه حتى يتم خلاصكم حين تموتون»<sup>2</sup>، كما يظهر هذا التعالي في انبهار الناس بالأشياء التي احضرها المستعمر معه ،فالرجل الأبيض يقول: «أخبركم بأنني سأحضر العديد من الأحصنة الحديدية حين نستقر بينهم و سيركب بعضهم على الحصان الحديدي بأنفسهم».

تقول أمال علاوشيش عن علاقة التداخل بين مصطلحي الكولونيالي و الاستعماري: «و عن مفهوم الكولونيالي أو الاستعماري و هو المصطلح المتداول عموماً في كتب التاريخ ، و ذلك على اعتبار الثاني مقدمة أو مدخل الأول هذا من جهة ومن جهة أخرى تميزه عن مصطلح ما بعد الاستقلال باعتبارها الفترة التي أعقبت التخلص من الثاني ، هذه المرحلة تميزت بتبعية فكرية و اقتصادية للآخر المستعمر رغم التخلص منه عسكرياً»<sup>3</sup>

1 - تشينوا أتشيببي ، رواية الأشياء تتداعى، ص 179.

2 - المصدر نفسه، ص 180 .

3 - أمال علاوشيش ، ما بعد الكولونيالية ، ضمن كتاب خطابات المابعد الكولونيالية مجموعة مؤلفين ، ط1 2013 ،

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

إنَّ أثر الاستعمار يبقى حتى بعد رحيل القوات العسكرية وتبقى الدولة المستعمرة مرتبطة بالمستعمِر «تنتشر في نيجيريا أكثر من 520 لغة ولهجة تتبع جميعها للغات أفريقية أسيوية ولغات نيلية صحراوية ولغات نيجيرية كونغولية، لكن اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية في البلاد. وذلك اثرُ الاستعمار البريطاني حيث تُستخدم في المعاملات الحكومية والوثائق الرسمية خاصة في المناطق الحضارية كالعاصمة أبوجال»<sup>1</sup>

لم تكن اللغة الانجليزيةُ الرابط الوحيد الذي يربط بين نيجيريا و المستعمِر البريطاني، فالديانة كانت من مخلفات الاستعمار البارزة و التي بقيت حاضرة في المجتمع النيجيري إلى يومنا هذا «تنتشر أربعة أعراق في نيجيريا هي النوبي و التيف و الكانوري و عرق الهوسا و الغولان الذي يشل ثلثي سكان البلاد كما يُشكل السكان الذين يدينون بالمسيحية 45.5% من العدد الكلي للسكان، يعيش معظمهم في الجزء الشمالي في نيجيريا أما الديانة الأخرى المنتشرة فهي المسيحية و التي يعيش معظم معتقياها في الجزء الجنوبي من البلاد»<sup>2</sup>

– مفهوم الخطاب الكولونيالي:

### 1- مفهوم الخطاب:

تتباين تعريفات الخطاب فالمصطلح واسعٌ تختلف الدلالات التي يكتسبها من باحث إلى آخر، و يختلف مفهومه باختلاف التخصصات التي يردُ فيها ، يُعرفه علم اللغة بصفته الطريقة التي يتم بها تأليف رسائل لغوية من قبل المتكلم التي يُوجهها للمتلقّي ، في المجلد هو ظاهرة اجتماعية مركبة.

<sup>1</sup>- ويكيبيديا موقع موضوع ،كتابة رهام غازي أبو دولة ، 17 فيفري 2020 .

<sup>2</sup>- المرجع نفسه.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

كثيرا ما استخدمت هذه الكلمة لوصف الحديث أو السرد أو التناول المطول و المفصل ، يعرف "ميشيل فوكو" الخطاب على انه « حقل كامل أو مجال تستعمل في داخله اللّغة بطرق محددة تمتد جذور هذا المجال في الممارسات الإنسانيّة و المؤسسات و السلوك »<sup>1</sup>

الخطابُ حسبهُ مساحةٌ يتم استخدام اللّغة فيها بطرق معينةٍ ونجد هذه المساحةَ راسخةً في سلوكيات الإنسان وممارساته.

ركزت الدراسات ما بعد الكولونياليّة على الخطابِ في تحليل نظريات الاستعمارِ و علاقتها بالسلطةِ فحسب فوكو : « إنتاج الخطابِ في كل مجتمع هو في نفس الوقتِ مراقبٌ و منتقى و منظم و معاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحد من سلطته و مخاطره، و التحكم في حدوثه المحتمل و إخفاء ماديته الثقيلة و الرهيبة »<sup>2</sup>

مما يعني أن المؤسسات الرسميّة تتحكم في محتوى الخطابِ وتوجهه ليخدم مقاصدها ولهذا تخضعه للرقابةِ لتتحكم بظهوره أو تلاشيهِ.

### **2- الخطاب الكولونيالي:**

لم تقتصر افرازات الكولونياليّة على المجال السياسي والاقتصادي بل تعدتها لتمس الأدب فالخطابُ يعدُّ أحد الوسائلِ الهامة التي عبرت عن التجربة الاستعماريّة، فالاستعمارُ ونظامه يأتیان بشكل متلازمٍ كون هذا الأخير نشأ في عقد المنظومة الكولونياليّة. و كان يوازيها في أفعالها اتجاه الشعوب المستعمرة و حمل اسم الخطاب الكولونياليّ لكونه أداةً

1- أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار ، ما بعد الاستعمار، تر د/محمد عبد الغاني غنوم، دار الحوار، ص 50.

2- ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ص 4.

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي  
لفرض السلطة فحسب بيل إشكروفت: «الخطاب الكولونيالي هو مركب العلامات و  
الرموز و الممارسات الذي ينظم الوجود الاجتماعي داخل العلاقات الكولونيالية»<sup>1</sup>

إن الأدب الذي ينتجه الاستعمار يأتي بشكل يجعله إحدى وسائل السيطرة التي  
يستخدمها لصالحه و لهذا يحرص على أن يكون منتقى بشكل يخدم هذا الهدف ،لم يغفل  
اتشبيبي عن هذه النقطة في روايته حيث تناولها في الصفحة الأخيرة من روايته و تكلم عن  
الكتاب الذي يؤلفه مفوض المنطقة كنموذج لهذا النوع من الأدب «تعلم خلال السنوات  
العديدة التي كدح فيها لجلب الحضارة إلى أجزاء مختلفة من إفريقيا عددا من الأشياء  
كان احدها أن مفوض المنطقة يجب أن لا يهتم أبدا بمثل التفاصيل المخجلة مثل إنزال  
رجل مشنوق من الشجرة فهذا الاهتمام سيعطي المواطنين رأيا سيئا عنه ،كان سيؤكد  
هذه الفكرة في الكتاب الذي خطط لكتابته ،بينما كان يمشي عائدا إلى المحكمة فكر في  
ذلك الكتاب ،كان كل يوم يأتي له ببعض المادة الجديدة .إن قصة هذا الرجل الذي قتل  
رسولا و شنق نفسه ستكون قصة مثيرة يمكن للمرء أن يكتب فصلا كاملا تقريبا عنه  
،ربما ليس فصلا كاملا لو لكن فقرة معقولة على أية حال .كان ثمة الكثير غير ذلك  
ليضمنه و على المرء أن يكون حازما في حذف التفاصيل ،وكان قد اختار عنوان الكتاب  
بعد تفكير طويل "تهدئة القبائل البدائية في النيجر الأدنى" <sup>2</sup> .

نلاحظ من خلال هذه الفقرة أن المفوض بصدد تأليف كتاب عن النيجر ولكن سيكون  
حازما في اختيار ما يجب أن يضمنه فيه وما يجب أن يحذفه، كما نلاحظ من خلال  
العنوان الذي اختاره لكتابه النظرة الإحتقارية لهذه الشعوب واعتبار أوروبا الحضارية في  
مهمة تهدئة لهمجية هذه الشعوب ونشر الحضارة فيها.

<sup>1</sup> - بيل إشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية والمفاهيم الرئيسية، تر احمد الروبي، ص 101

<sup>2</sup> - تشينوا أتشبيبي، رواية الأشياء تتداعى، ص 247.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

يحمل هذا الخطاب في طياته إيديولوجيات الدول المستعمرة و يعكس صورة ما يحدث في هذه البيئة الاستعمارية، فهو مجمل المقولات التي تنطلق من الأراضي المستعمرة حاملة معتقدات ومعارف الخير الذي تدور فيه الأفعال الاستعمارية هو نتاج علاقة التأثيرية للمستعمر و المستعمَر داخل حدود الكولونيالية «يخلق هذا الخطاب صراعاً عميقاً في وعي المستعمرين بسبب تصادمه مع المعارف وأنواع المعرفة الأخرى بشأن العالم»<sup>1</sup> و يفرض المستعمر قوانينه الاستعبادية و الاحتوائية عن طريق الترويج لفكرة تفوق المستعمر الحضاري في جميع المجالات و كذلك حاجة المستعمر لهذا التفوق ليرتقي و يعتمد هذا الخطاب على تصوير الشعوب المستعمرة على أنها بدائية و الشعوب المستعمرة آتية لتتشر الحضارة فيها .

يخلق هذا الخطاب داخل حدود الكولونيالية صراعاً عميقاً في وعي المستعمرين بسبب تصادمه مع المعارف (و أنواع المعرفة) الأخرى بشأن العالم و يفرض المستعمر قوانينه الاستعمارية و الاحتوائية عن طريق الترويج لفكرة تفوق المستعمر الحضاري و في جميع المجالات و كذلك حاجة المستعمر لهذا التفوق ليرتقي .

ويعتمد هذا الخطاب على تصوير الشعوب المستعمرة على أنها بدائية وهمجية والشعوب المستعمرة آتية لتتشر فيها الحضارة.

«ينزح الخطاب الكولونيالي بطبيعة الحال نحو استبعاد المقولات المتعلقة باستغلال الموارد المملوكة للمستعمر و المكانة السياسية التي تكتسبها القوى المستعمرة»<sup>2</sup>

ويضع هذا الخطاب دونية الشعوب المستعمرة وهمجيتها كغطاء لاستغلاله ومنافعه لا يدرك في الغالب المستعمرين المراوغة التي يحتوي عليها هذا الخطاب فهو جزء من

<sup>1</sup> - بيل إشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر احمد الروبي، ص 101 .

<sup>3</sup> - تشينوا أتشيبي، رواية الأشياء تتداعى، ص 102.

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي  
ذهنية المستعمر كما المستعمر يكون دائما مصير الخطاب الذي يعاكس الخطاب الكولونيالي هو الرفض ليلقى معاملة قاسية يوسم صاحبها بالغرابة والاختلال.

### ما بعد الكولونيالية:

ظهرت الدراسات ما بعد الكولونيالية بعد فترة انتهاء الاستعمار و حصول الأراضي المستعمرة على الاستقلال، و قد كان هذا المصطلح من إفرازات الفترة المعاصرة منتصف القرن العشرين، يتميز هذا المصطلح بالمرونة و الاتساع مما جعله مؤهلا ليستخدم في العديد من المجالات و ذلك يُشير إلى المرحلة التي تلت كسر قيود الاستعمار ووطأة هيمنته و هذا بغرض تحليلها، بالإضافة إلى الاهتمام بالنقد الأدبي و الاجتماعي حيث تقوم بمحاولات للرد على الامبريالية الغربية و الأوروبية<sup>1</sup> فهي تدرس العلاقة بين المستعمر و المجتمعات التي احتلتها و أساليب السيطرة المستخدمة ، تهتم ما بعد الكولونيالية بكل الثقافات التي تعرضت للاستعمار و تأثرت بالإمبريالية ،فهذا المصطلح يشمل كل ثقافة تأثرت بالعملية الامبريالية منذ اللحظة الكولونيالية إلى يومنا هذا

يمكن تصنيف رواية "الأشياء تتداعى" ضمن هذا المجال لأنها ترد على المستعمر الإنجليزي بلغته كما تتناول العلاقة التأثرية التي نسجت بين المستعمر البريطاني و المجتمع النيجيري ،كما تعرض نتائج هذا التأثر و يظهر هذا في عدة مواضع في الرواية منها اجتماع المبشر "براون" ب"أنوكا" احد زعماء القبيلة ليتعرف كل منهما على ثقافة الآخر «كلما ذهب السيد براون إلى تلك القرية كان يمضي ساعات طويلة مع أنوكا في كوخه و هو يتحدث عبر مترجم عن الدين ،لم ينجح أي منهما في تحويل الآخر لكنهما تعلمتا أكثر حول دينيهما المختلفين»<sup>2</sup> .

1- ينظر: أمال علاوشيش، ما بعد الكولونيالية، ص 3 .

2- تشينوا أتشيبي، رواية الأشياء تتداعى، ص 215.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

تطرق "تشيببي" أيضاً إلى قدرة المبشر "براون" الذي يمثل الجانب الاستعماري على الإقناع و التأثير «في النهاية بدأت حجج السيد براون في التأثير، جاء أناسٌ كثيرٌ للتعلم في مدرسته و شجعهم بهدايا القمصان الداخلية و المناشف»<sup>1</sup>

من خلال هذه المواقف نستنتج وجود علاقة تأثيرية توطدت أواصرها بين المستعمر والمستعمر.

الاهتمام ينصبّ على المرحلة الاستعمارية من بدايتها وليس ما يليها فقط، فتأثير الاستعمار على هذه الثقافات يمتد إلى تلك الفترة أيضاً، إن مقارنة المجتمعات المستعمرة في مواجهتها للاستعمار ومن ثم نقدها في محاولة لإيجاد النقاط المشتركة بينها وكذلك استخراج مواضع التأثير بالمستعمر، انتشر هذا المصطلح بين الباحثين الذين تعود جذورهم إلى المستعمرات والذين تحصلوا على فرصة الدراسة في الولايات المتحدة وأوروبا.

نرى أن "تشيببي" تكلم عن الاستعمار منذ لحظة دخوله إلى نيجيريا ثم كيف بدا في التوغل و نشر مفاهيمه حيث بدأ تأثيره منذ اللحظة الأولى لدخوله و استمر إلى ما بعد ذلك و قد بدا بالحديث عن الاستعمار في الفصول الأخيرة من روايته تحديداً بداية من الفصل السادس عشر «حيث قام "أوبركا" بعد سنتين تقريبا بزيارة أخرى إلى صديقه في المنفى، كانت الظروف أقل سعادةً، كان المبشرون قد جاؤوا إلى اوموفيا و بنوا كنيستهم هناك و استمالوا إليهم بعض المتحولين و كانوا يرسلون الدعاة إلى البلدان و القرى المحيطة»<sup>2</sup>، فالاحتلال البريطاني منذ دخوله كان هدفه السيطرة عن طريق التأثير في الناس عن طريق الدين و قلب الأمور لصالحه .

1 - تشينوا تشيببي، الأشياء تتداعى، ص 218.

2 - المصدر نفسه، ص 178.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

« لقد اقترح انه من الأجدر لنا أن نفكر بما بعد الاستعمار ليس أنه حرفياً تالياً للاستعمار و دالا على زواله ، بل بمرونة أكبر على انه الطعن بالسيطرة الاستعمارية و تركت الاستعمار<sup>1</sup> . فهذا المصطلح يشير إلى الصراعات بين المستعمر و المستعمر و المابعد الاستعمار إشارة إلى إنهاء فترة و الانتقال لأخرى متميزة بخصوصياتها و مختلفة عما سبقها ، «في الحقيقة الاستعمار موجود بالفعل إلى الآن و بأساليب مناتلة أو ما يمكن أن نطلق عليه اسم الامبريالية الخفية أو تجسيد الفكر الاستعماري عن طريق العولمة و طرق غير مباشرة ، معظم الأمم لا تزال خاضعة إما ثقافياً أو اقتصادياً للدول الصناعية الغنية<sup>2</sup> » .

إن ما بعد الكولونيالية في الأساس مصطلحٌ سياسيٌ يُعنى بالقواسم المشتركة بين المجتمعات المستعمرة سابقاً و التي واجهت الاحتلال الأوروبي و نالت استقلالها لكن بقيت فيها آثار فنية و أدبية كما تشترك هي بحد ذاتها في بعث النقاط فيما يخص الأدب و الفن ، كما يشمل الدراسات الثقافية و النقد الأدبي أما المنهج الخاص بها فهو يتوجه إلى كونه سياسياً « يسعى إلى تفكيك الحدود و البنيات التي تركز الهيمنة و السيطرة و ترسيخ علاقات بين قوى غير متكافئة من خلال تقابلات ثنائية مثل الأنا و الآخر ونحن و هم العالم الأول و العالم الثالث و الأبيض و الأسود<sup>3</sup> » فهي تسعى إلى تفكيك المقولات المركزية التي يبني بها الاستعمار خطابها الذي يحمل في طياته السيطرة العنصرية ، فهو بسياسته عمد إلى تقسيم العالم إلى أنا متقدمة و متحضرة و آخر همجي و متخلف ليتمكن من تملك الآخر .

1- أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ، تر د/محمد عبد الغني غنوم ،دار الحوار،ص 27.

2- بيل إشكروفت، الإمبراطورية ترد بالكتابة، تر جيرى دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، ط1 ، ص 15.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعي بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

إن تداعي الإمبراطوريات الأوروبية هو نقطة انطلاق الدراسات ما بعد الكولونيالية، حيث تبعت ذلك الانهيار والتداعي عدة دراسات ثقافية واجهت الهيمنة ودرست هذا المجال بطرق عديدة أهمها:

1- دراسة استجابة مستعمرات أوروبا السابقة للإرث الذي تركه الاستعمار من ناحية تكيفها معه أو مقاومتها له والقضاء عليه بعد الاستقلال ويقضي هذا النوع من الدراسات النصف الثاني من القرن العشرين.

2- دراسة استجابة المستعمرات الأوروبية السابقة للإرث الاستعماري انطلاقاً من بداية استعمارها من ناحية تكيفها ورفضها ومقاومتها له، وينطبق هذا على الفترة الحديثة أي بداية من القرن السادس عشر.

3- دراسة علاقات القوة التي تربط بين مختلف المجتمعات والأمم و كيفية خضوع الثقافة المستعمرة للثقافات المستعمرة و تعرض هذه الفترة التاريخ في كليته.

في المجمل دراسات ما بعد الكولونيالية تركز على التكيف الثقافي و تسلل الإيديولوجيات إلى خطابات الشعوب المستعمرة و المستعمرة و تسعى لتفكيك هذه الخطابات بهدف استخراج مضمراتها.

### -أدب ما بعد الكولونيالية:

الأدب محمل بأفكار و إيديولوجيات تعكس استراتيجيات القوى الاستعمارية للسيطرة على العالم ، تربط الأدب و الاستعمار علاقة وطيدة أدت إلى إعادة النظر في مصطلح الأدب فهو مسرح لصراع الإيديولوجيات و أداة قوية يستخدمها كل من الخطاب الاستعماري و المعادي للاستعمار كونه قادر على الربط بين الواقع و الخيال بالإضافة إلى كونه بناء لغوي و اللغة مساحة لتداخل الإيديولوجيات و صراعها « بيد أن النصوص

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي الأدبية لا تعكس ببساطة الإيديولوجيات المهيمنة لكنها تحول التوترات و التعقيدات و الفروق الدقيقة داخل الثقافات الاستعمارية إلى رموز ، الأدب هو منطقة تماس مهمة»<sup>1</sup>.

تعد رواية الأشياء تتداعى عينة من هذا الأدب حيث نجد بين سطورها الصراع الإيديولوجي و التضارب الثقافي الذي نتج عن عملية استعمار بريطانيا للنيجر و يصور محاولة البريطانيين السيطرة على هذه الأراضي المحتلة و إخضاع شعوبها لرغبتها و تجريدها من ثقافتها ليتجلى هذا الصراع جليا في ردود أفعال الناس حيال كل ما أتى به المستعمر من دين و ثقافة :«كان هناك العديد من الرجال و النساء في اوموفيا الذين لم يشعروا بقوة مثل أكونكو حول النظام الجديد ،كان الرجل الأبيض فعلا قد أتى بدين جنوني»<sup>2</sup> و «حتى فيما يتعلق بالدين كان ثمة شعور متزايد بأنه قد يوجد شيء ما فيه بعد ذلك كله ،شيء على نحو مبهم ضمن حالة من الجنون الغامر»<sup>3</sup>

يشمل الخطاب الاستعماري الصحافة، الإعلام و التقارير الحكومية و الكتابات السياسية أيضا فنرى الهيمنة الاستعمارية متجسدة في الفضاء الفكري. فالدول المستعمرة تستخدم الأدب كوسيلة ذو وظيفة استراتيجية الهدف منها السيطرة على الثقافات عبر التحكم في إنتاج المعارف و وضعها تحت مجهر الرقابة «لقد كانت مؤسسة الأدب في المستعمرة تخضع لسيطرة مباشرة من الطبقة الحاكمة الإمبراطورية التي كانت وحدها تخير الشكل المقبول ، و تسمح بنشر و توزيع العمل الناتج» و معنى هذا أن كل أدب ينتجه الشعب المستعمر يراقبه الاستعمار و لا يمنحه لا يرى الغموض الأدبي بمرافقته و يوزع تحت رعايته و هذا بهدف تجنب تأثيره على وعي الشعوب ، فهي ترفض كل أدب لا يضم مصالحها « إن نظرية ما بعد الكولونيالية تعني مجرد تسلسل زمني أحادي

1- آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار، ص 79.

2- تشينوا تشيبي، رواية الأشياء تتداعى، ص 214.

3- المصدر نفسه، ص 214.

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي  
الاتجاه ، أي انتهاء عصر الكولونيالية ليحل محله عصر آخر في أعقابه ، وإنما هناك اشتباكٌ جدليٌّ وفكريٌّ وثقافيٌّ وحضاريٌّ وماديٌّ واجتماعيٌّ بين الكولونيالية و ما بعدها ، يصل إلى توظيف أسلحة الصراع و المناورة و المخاتلة من جانب الاستعمار الذي لم يعد يقتنعُ بجدوى السيطرة العسكرية و السياسية ، بقدر اعتماده الآن على السيطرة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و الفكرية و الحضارية<sup>1</sup>»

ينطبق هذا الأمر على المستعمر البريطاني حيث نرى تحكما في الأعمال الفكرية المنتجة و توجهها لتخدم المستعمر و يظهر هذا في آخر الرواية حيث تكلم اتشيبى عن الكتاب الذي يؤلفه مفوض المنطقة كنموذج «و بينما كان يمشي عائدا إلى المحكمة فكر في ذلك الكتاب ، كان كل يوم يأتي له ببعض المادة الجديدة ، إن قصة هذا الرجل الذي قتل رسولا و شنق نفسه ستكون قراءة مثيرة ، يمكن للمرء أن يكتب فصلا كاملا تقريبا عنه ، ربما ليس فصلا كاملا و لكن فقرة معقولة على أية حال ، كان ثمة الكثير غير ذلك ليضمه و على المرء أن يكون حازما في حذف التفاصيل . و كان قد اختار عنوان الكتاب بعد تفكير طويل :تهدئة القبائل البدائية في النيجر الأدنى»<sup>2</sup> يظهر لنا هنا أن المستعمر ينتقي المادة الفكرية التي يقدمها بشكل يخدم مصالحه و يظهر تفوقه و همجيته و دونية الآخر في نفس الوقت .

و يأتي أدب ما بعد الكولونيالية بوصفه شكلاً من أشكال النقد الثقافي فهو وسيلة تحرر المجتمعات من مخالب الهيمنة المنتشرة و القوة على مزاجية تسجيل كل من التجارب المشتركة و كذا الاختلافات بين المستعمرات السابقة «لا يمكن أن يوجد أدب

1- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 2003، ص 548

2- تشينوا اتشيبى ، الأشياء تتداعى، ص215 .

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

منبت الصلة بسياقه الممتد عبر الزمان ، إذ إن الطاقة الحيوية الكامنة في هذا الأدب ، إنما تنطلق أساسا من جذوره الضاربة في تربة عالم له طبيعته الخاصة المتميزة <sup>1</sup>»

فمهمة الكولونيالية بالدرجة الأولى القراءة الرجعية وإعادة القراءة، فهو يعيد قراءة النصوص الكولونيالية ليظهر الإيديولوجيات الاستعمارية المستترة فيها ولفضحها للعلن وكشف غطاء الحضارة التي تزعم نشرها، فهي لا تهاجم الأعمال الكولونيالية بشكل مباشر بل تقوم بنوع من المراجعة، فالدراسات ما بعد الكولونيالية تدرس محتوى النص الثقافي.

لا يظهر الاتصال الاستعماري فقط في اللغة و الصور البيانية للنص فهو ليس إضافة جمالية فقط بل يحتل موضع المركز كما تقوله هذه النصوص عن المواضيع الهامة كالهوية و العلاقات و الثقافة، فالنص هنا يتجاوز وظيفة الجمالية <sup>2</sup>

لم يظهر لنا التواصل الذي حدث بين الاستعمار البريطاني والمستعمر النيجيري حصرا من خلال لغة الكاتب "اتشيببي" بل شكلت هوية الشعب النيجيري وثقافته محورا مركزيا في تكوين الرواية، يظهر هذا من خلال الحوارات التي تظهر التصدع الذي حدث في هوية الإنسان النيجيري حيث طرح أوكيكا سؤالا عميقا حول هذا الموضوع «هذا اجتماع عظيم، لا يمكن لعشيرة أن تتباهى بإعداد أكبر أو شجاعة أعظم. و لكن هل كنا؟ اسالكم : هل جميع أبناء اوموفيا معنا هنا و اجتاحت الحشد مهمة عميقة » و يجيب فيما بعد «ليسوا هنا لقد تركوا العشيرة و مضوا كل في طريقه <sup>3</sup>» فقد تصدعت كل الاواصر التي كانت تربطهم و تشكل هويتهم.

1 - ينظر: أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار ،ص 81.

2- المرجع نفسه، ص 81.

3 -تشيبيوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 241

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

أما من الناحية الجغرافية فإن الأدب ما بعد الكولونيالي يشمل كل من منطقة الكري و الهند و ماليزيا و مالطا و نيوزلندا و الباكستان و سنغافورة و بلدان جزر جنوب المحيط و سيريلانكا<sup>1</sup> و حسب قاموس أكسفورد للعلوم الاجتماعية فإن خطاب ما بعد الكولونيالية نشأ في أعمال الدراسات المهمة بالتاريخ الهندي مظهرين تأثرا بالماركسية الإنجليزية لتدوين التاريخ ، حيث كان اهتمامهم ينصبُّ على التعبيرِ عن المستعمرين أكثر من الأخذ بوجهة نظر المستعمر<sup>2</sup>.

يهدف هذا الخطابُ إلى سماعِ صوتِ المستعمرين بعد أن كانت أفواههم محكمةً لمدة طويلة وكان الخطابُ الوحيدُ المسموعُ هو خطاب الاستعمارِ وسلطته.

إن الخطاب الاستعماري كان تعبيراً عن رؤية الاستعمار إزاء مناطق العالم الواقعة خارج حيز الغرب ، كما يضع حملاته العسكرية في منزلة تاريخية و تغطي على التوجهات الحقيقية لهذه الحملات مدعية أنها أنت لإخراج هذه الشعوب من خمولها الأدبي ومن ثم حولتها إلى مسارح تجري فيها أفعال البطولة الغربية وقد جاءت الدراسات ما بعد الاستعمارية لتتنظم باعتبارها مؤسسة فاعلة في الكتابة تروج لفكر معين تتبني حالات كتابية هدفها تفكيك الخطاب الاستعماري ولتعيد النظر في تاريخ أدب الإمبراطوريات السابقة بحيث تشمل المستعمرات التي واجهت الاستعمار الأوروبي بما تركه من مخلفات ، رغم اختلاف القوميات التي أنتجت هذه الآداب فإنها أنتجت نوعاً من الكتابة يحمل حسب الخطاب النقدي المعني بالاستعمار و ما بعده له قواسم مشتركة هدفه إيرازها .

تكلم أنثيبي من خلال روايته نيابةً عن شعبه اسمع صوته بعد أن كان الصوت المسموع الوحيد هو صوت المستعمر و عبر عن الشتات الذي عاناه و أوصل بكل

<sup>1</sup> - ينظر: بيل إشكروفت، الرد بالكتابة، ص 16.

<sup>2</sup> - ينظر: رامي أبو شهاب، الرسيب والمخاتلة، ص 49.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

موضوعية كل عمليات التحول التي أحدثتها الوجود الاستعماري في ثقافة و تفكير الشعب النيجيري .

إن أول من استخدم مصطلح "ما بعد الاستعمار" هو مجال النظرية السياسية مطلع السبعينيات وهذا لا يعني أن نظرية مقاومة الاستعمار أقدم من ذلك بكثير وربما يعود إلى بداية حركة الاستعمار ذاتها و يمكن لنا القول أن إدوارد سعيد هو أول من أسس هذا الحقل المعرفي كتابة ما بعد الاستعمار و إن كان فرانس فانون هو المبرر الأول لها.

يرى إدوارد سعيد لزوم اقتفاء الأثر السياسي للكتابة عبر قراءة ثقافية يعيد النقد إلى العالم، فالنص هو حادثة ثقافية لا بد من ربطه بمظاهر الدنيا السياسية و الاجتماعية و الثقافية فالنصية في رأي إدوارد سعيد غير مقنعة بحال من الأحوال<sup>1</sup>.

تؤكد المقالات التي أوردها إدوارد سعيد في كتابه "العالم و النص و الناقد" الروابط الجامعة بين النصوص و الوقائع الوجودية للحياة البشرية و السياسية و المجتمعات و الأحداث لهذا يحمل الأدب أهمية كبيرة في العالم الحاضر لأنه يحمل كل ما هو جمالي و تاريخي و مجتمعي، ولهذا يجب للنظرية النقدية أن تضع هذا الأمر في عين الاعتبار عند تعاملها مع النصوص و لهذا يفرق إدوارد سعيد بين هو وصف لمكونات النسب و الانتساب، فالنسب هو وصف لمكونات النص هو يحلل داخليا جماليات و انساق و تكوين هذا النص أما الانتساب فهو ما يمنح النص مجال حركته أي مجموعة النصوص التي تحيط به و مكانة المؤلف و اللحظة التاريخية التي يتم فيها استعادة النص مرورا باليات النشر و التوزيع و التلقي و بهذا يكون الانتساب إعادة خلق العلاقات بين النصوص و العالم، لإخراج النص من عزلته التي تدفعه إليه النزعات الأكاديمية ذات المنظور

<sup>1</sup> - ينظر: ادوارد سعيد، العالم والنص والناقد، تر عبد الكريم محفوظ ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دط،

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

التخصصي الضيق ، فعلى الناقد أن يعود إلى مسألة البناء التاريخي للإمكانيات التي سمحت بوجود النص . نجد في أفكار إدوارد سعيد تحفيزاً للوعي النقدي و تنشيطه لغاية الوصول إلى خطاب يخلق القدرة عند الإنسان على رفض أية فكرة متعالية و يعزز قدرته على صنع تاريخه ، هذا يعود بنا إلى تأكيد دور إدوارد سعيد في النظرية ما بعد الاستعمارية التي منحت أهمية كبيرة للإنسان و رأت أن النزعة الإنسانية في الطريق الوحيد للوقوف في وجه كل ما يشوه وجه التاريخ من مظالم و سياسيات لإنسانية عن طريق كتابات تعلي من كرامة الفكر الإنساني و تقاوم التقليد و السلطة و الجمود ، لذلك احتكمت هذه الكتابات إلى القيم الديمقراطية و معارضة كل مشاكل الاستبداد و السيطرة و يقول في هذا الشأن « إن النزعة الإنسانية الحقة تقوم على الإحساس بالانتماء إلى جماعة كبرى تضم باحثين آخرين و مجتمعات و عصور أخرى فما من باحث إنساني بمعزل عما حوله ، لذا فواجبنا يتمثل في توسيع دائرة النقاش أي أن نجابه أشكال الظلم و المعاناة بان نضعها جميعاً داخل سياق ينهل بغزارة من التاريخ الثقافة و الواقع الاجتماعي و الاقتصادي »<sup>1</sup> .

يستحضر إدوارد سعيد دور القوة و يوضح كيفية تفاعلها في الخطابات الدنيوية المختلفة ، لا يمكن التطرق إلى نظرية ما بعد الاستعمار دون الحديث عن المبرر الأول لهذه النظرية "فرانز فانون " بأعماله التي عززها إدوارد سعيد في كتابه المعروف "الاستشراق " و هي الأعمال التي استخدم فيها التحليل النفسي مطوراً إياها لإبراز عواقب الاستعمار السيكولوجية الاجتماعية و ذلك بتركيزه على خطوة خاصة السواد باعتبارها عرقية و أهميتها بالنسبة للمشروع الاستعماري القائم على القمع و التشويه كذلك قابلية المستعمر الأسود للاقتناع بارتداء القناع الأبيض مصنوع الثقافة الغربية ، فالاستعمار الذي يرفع من منزلة الحب الأبيض بخلق إحساس في الشعوب غير البيضاء بالاعتزاز في

<sup>1</sup>- إدوارد سعيد ، العالم و النقد و النص ، ص 227 .

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

هوية هذه الشعوب و يبقى كتابه "معذبو الأرض " مهما في عالم الكتابة في حقل الكتابة الاستعمارية و فيه يركز فانون على العنف المصاحب لعملية تفكيك الاستعمار و مقا

### - مفهوم النظام الباترياركي :

إنَّ النَّظْمَ الباترياركي هو نظامٌ اجتماعيٌّ و أخلاقيٌّ يضيفي الشرعيةً على سلطة الذكر و ذلك بعد أن يُجمد حركية جسد المرأة و يضع قوانيناً لأفعالها الجنسية و بهذا الشكل يصنع لها مجالاً محددًا للحركة لا يكون بوسعها الخروج منه و إن تجرأت و خرجت منه يكون جزاؤها العقاب بمختلف الطرق كما يُصادر منها حريتها و يجعل منها كائنًا مقيدًا غير قادرٍ على اتخاذ أيِّ قرارٍ مهمٍّ لأنَّه بالضرورة يستحقرُّ عقلها و قدرتها على التفكير و اتخاذ القرارات ،يرى هشام شرابي :«إنَّ حجر الزاوية في النَّظْمِ الأبويِّ (الأبويِّ المستحدث ) يقوم على استعباد المرأة ،من هنا كان العداء العميق و المستمر في لا وعي هذا المجتمع للمرأة و نفي وجودها الاجتماعيِّ كإنسان و الوقوف بوجه كل محاولة لتحريرها»<sup>1</sup>

كما عرفه العالم الاجتماعيُّ مانويل كاسترلز بأنه نموذجٌ لسلطة الرجال المؤسسة وسط الأسرة والتي تتدخل في كل تنظيم اجتماعيِّ.

كما يقتضي المجتمع الأبويُّ وضع السلطة كاملةً في يد الرجل الكبير في العائلة أو المجموعة القرابية لأنه يؤمن أن الرجل يملك أشياء تجعله متفوقاً على المرأة سواء من الناحية الاجتماعية أو البدنية بالإضافة إلى هذا تضع دائماً مصالح المرأة لمصالح الرجل يظهر هذا الخضوع في صور عديدة كتنظيم العمل على أساس الجنس و التنظيم الاجتماعيِّ لعملية الإنجاب و في إطار هذا النظام يسيطر الرجال برغبتهم في ضمان أبوتهم بتلاؤم السيطرة الذكورية مع إرادة تملك قدرة النساء البيولوجية على الإنجاب لأن

<sup>1</sup>-ينظر: هشام الشرابي، النظام الأبوي، ص 12.

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي  
هذه القدرة هي ما يجعلُ من المرأة امرأة « فالرجالُ يمتلكونَ النساءَ و يراقبونَ بدقةٍ نشاطهنَّ الجنسيَّ للتأكدِ من أنَّ أبنائهم من صلبهم ،إنَّها الفديةُ التي تؤديها النساءُ على امتلاكهنَّ امتيازاً مفرطاً في أهميتها و هو الإنجاب»<sup>1</sup>.

إن استبطان النساءِ لدونيتهنَّ في مقابل السيطرةِ والهيمنةِ الذكوريةِ هي روح النظام الباترياركيِّ والذي يندرجُ ضمن نظام فكريِّ يُعلي من قيمة الفكرِ ويحطُّ من شأن المرأةِ في كل زمانٍ ومكانٍ لأنَّ الأمرَ متعلقٌ باختلافِ المكانةِ التي يحتلُّها الجنسانِ حسب سلم القيم.

إنَّ المجتمعَ الإفريقيَّ ككلِّ المجتمعاتِ القديمةِ يسودُ فيه النظامُ الأبويُّ و يُسر حياة الناسِ و قد ظهر هذا جلياً في رواية الأشياءِ تتداعى التي تعبرُ عن حياة نموذجٍ من المجتمع الإفريقيِّ و هو المجتمعُ النيجيريُّ ، من خلال أحداثِ الروايةِ ظهر لنا أنَّ المجتمعَ النيجيريَّ هو فعلياً مجتمعٌ باترياركيُّ تعود فيه السلطةُ للرجلِ و تضطهدُ فيه المرأةُ بمختلف الأشكالِ «إنَّ ظهورَ المجتمعِ الأبويِّ ذو النزعةِ البتريركيةِ و الذي يتميزُ بسلطةِ أبويةٍ أول ما تبدأ في العائلةِ بسلطةِ الأب البيولوجيِّ ،ثم تمتد إلى السلطةِ في البيئة الاجتماعيةِ و المتجسدةِ في علاقات المجتمعِ و حضارتهِ ككلِّ ،تكون السلطةُ بذلك ظاهرةً و حقبَةً في نفس الوقتِ حيث يراها الفردُ و يحس بها أينما كان و حيثما توجهُ ،فهي تحكم علاقاته المباشرةِ و غير المباشرةِ و يتميز النظامُ الأبويُّ بلغةٍ خاصةٍ هي لغة جماعيةٍ...الفرد و الوعي الذاتيُّ و تستبدلها بالوعي الجماعيِّ ،بالتالي فهي انعكاسُ السلطةِ الأبويةِ و الوعي الباترياركيِّ»<sup>2</sup>

1 - كريميو اليزابيث، وصفية المرأة في العالم ،تر حنان القصيبي و محمد هلال ،المغرب دار توقيبال ، ص 15 .

2 - هشام شرابي 1999، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ص 11 .

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

يتجسد هذا النظام في الرواية من خلال بطلها "أكونكو" الرجل القوي ذو النفوذ الذي يفرض كلمته في وسط قريته ينال الاحترام من طرف الجميع لشخصيته القوية، يحكم أيضاً عائلته المتكونة من ثلاث زوجات و أبناءه بقبضة حديدية، إن تمعننا في هذا نلاحظ أن تعدد الزوجات في هذا المجتمع إرضاءً لرغبة الرجل بالسيطرة و التحكم و كذلك هو نوع من التباهي فكلما كثر عدد زوجات الرجل كان من ذوي المنزلة المرموقة بين الناس، بالإضافة إلى هذا فإن كل هذه الزوجات يعشن تحت سيطرته و لا يمكنهن اتخاذ أي قرارٍ مهمٍ «حكم أكونكو عائلته بيدٍ من حديدٍ و عاشت زوجاته خصوصاً الأصغر سنًا في خوفٍ دائمٍ من مزاجه الناري و كذلك أولاده الصغار» «لم يكن أكونكو في أعماق قلبه رجلاً قاسياً لكن حياته الكاملة سيطر عليها الخوف، الخوف من الفشل و الضعف»<sup>1</sup>

فالمرأة هنا مجبرة على دفع ثمن المخاوف التي تساور الرجل و التبعيات التي يجربها هذا الخوف على شخصيته و كذلك على العيش هي أيضاً في خوفٍ مستمرٍ بسبب سلطة الرجل الثقيلة التي يستحقها «إن المجتمع الذي وضع الرجل كشريطته و قيمه يعتبر المرأة أقل من الرجل»<sup>2</sup>

المجتمع النيجيري في مرحلة ما قبل الاستعمار البريطاني كانت من وضع الرجال و كانت هذه القوانين التي تحكم القبيلة تخدمهم بالدرجة الأولى و تلغي المرأة تماماً و تضع لها مكاناً محدداً هو خدمة البيت و إنجاب الأطفال و لا يسعها فعل شيءٍ آخر، يظهر لنا في الرواية في المحاكمة التي دارت بين اوزولو و زوجته التي أخذها أهلها لأنها تعرضت للضرب و نلاحظ من خلال مجرياتها أن الحوار كان دائراً بين الزوج و أخ الزوجة و لم تتمكن أبداً الزوجة التي تعرضت للضرب من الدفاع عن نفسها أو إبداء رأيها في القضية التي تخصها في الأساس، فالمرأة هنا تتعرض للسيطرة الذكورية كحماية

1- تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 32.

2- سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، تر ندى حداد، ص 5.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

يفسر التّصورُ الباترياركيُّ المختزلُ المرأةَ كأنّها تعاني من القصور الأبديّ يحتاج دائماً لحمايةٍ مقابل خضوعها، كما تعاني المرأة في هذا النظامِ العنفِ حيث تعرضتِ زوجة اوزولو للضربِ من طرفه عديد المراتِ «تابع أودوكي: قبل سنتين حينما كانت حبلى ضربها حتى أجهضت».<sup>1</sup>

نرى أنّ الحكمَ الذي أطلقه ممثل روح الأسلافِ في النهاية لم يراعي المرأة في شيء و لم يعطها أية أهمية لها و للأذى الذي تعرضت له بقدر مراعاته لعلاقة النسابة و الأعرافِ المتعلقة بها «إذا احضر نسيبك نبذا لك ،دع أختك تذهب معه ،أحييك»<sup>2</sup>

تتسم منظومة القيم و الأعرافُ بتشددها و انغلاقها « داخل هذا النظام الذكوري تكون السلطة المطلقة للأب على الأبناء و الزوجات و تقوم النشأة الاجتماعية بإدخال قيم الطاعة و التبعية و الذوبان في الشخصية الجماعية و يصبح الاختلاف الجنسي دوراً بارزاً في تحديد الأماكن و الأوضاع و المواقف و التمييز تجاه النساء من طبيعة الأشياء فهو تعبيرٌ عن الحقائق الطبيعية الثابتة و هو من اكبر تجليات العنف الممارس ضدهن»<sup>3</sup>

سيطرة الأب واضحة جداً في عائلة "أكونكو" حيث يسيطر بشكل كامل على كل القرارات المهمة في المنزل و تخضع الزوجات الثلاثة لسلطة و كذلك أبنائه، كانت مخالفة هذا الزوج أو الأب يستدعي العقاب الذي يكون عنفاً، تعرضت زوجته للضرب لسبب بسيط حيث أنها تأخرت عن إحضار الطعام له في الوقت المناسب لأنها ذهبت إلى جارتها لضفر شعرها .

1- تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 123.

2- المصدر نفسه، ص 125 .

3 Camille la Coste Dujardin(1985) ,des mères contre les femmes maternités et patriarcat au magreb, Paris la découverte p 89.

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

« مشى عائداً إلى كوخه ينتظر عودة أوجوغو، عندما رجعت ضربها بعنف شديد ناسياً أنه أسبوع السلام، خرجت زوجته الأخرين خارجاً بذعر كبير و هن يتوسلن له لأتهم في الأسبوع المقدس»<sup>1</sup>

يظهر لنا هذا التغييب الذي تتعرض له المرأة والسيطرة من خلال نماذج النساء المتعددة التي وردت في الرواية والتي تشكل أطراف المجتمع المتعددة.

### 1- الزوجة:

إن المجتمع النيجيري مجتمعٌ تتعدد فيه الزوجات و يعدُّ هذا رمزاً لرخاء الرجل و ثرائه و سيطرته و هنا تصبح الزوجة نوعاً من الممتلكات «كان أول شيء سيفعله هو إعادة بناء مجمه على مستوى أكثر روعة، سيبنى مخزناً أكبر مما كان لديه قبل و يبني كوخين لزوجتين جديدتين ثم سيظهر ثروته بضم أبنائه إلى مجتمع اوزو»<sup>2</sup>

قرر أكونكو إضافة زوجتين إلى زوجاته الثلاث عند عودته إلى قريته ليعلن هذه العودة بقوة و يستمر في ثرائه و ارتفاع منزلته و نجاحه «كان الزواج دائماً يبدو مختلفاً اختلافاً جذرياً بالنسبة إلى الرجل و المرأة، إن كلا الجنسين ضروريان لبعضهما بعضاً إلا أن هذه الضرورة لم تؤد قط إلى علاقة تتبادل و لم تشكل النساء قط طبقة خاصة تقيم مع طبقة الرجال علاقات تبادل و بترم العقود على عقد المساواة، فالرجل من الناحية الاجتماعية مستقل و كامل ينظر إليه قبل كل شيء كشخص منتج و وجوده مبرر بالعمل الذي يقدمه للجماعة، أما المرأة فكان دورها المحدود بإنجاب الأطفال و العمل المنزلي حائلاً دون مساواتها مع الرجل»<sup>3</sup>

1- تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 50 .

2- المصدر نفسه، ص 207

3- ينظر: سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، ص 121-122.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

فالمراة الزوجة في هذا المجتمع موجودة فقط لخدمة زوجها و مواصلة نسله من خلال إنجاب الأطفال الذين سيحملون اسمه و تربيتهم و كذلك القيام بمختلف الأعمال المنزلية و كذلك الزراعة و إحضار الماء و أي تقصير في هذه الأعمال يُعرضها للعقاب و الضرب ،فزوجات أكونكو الثلاث يحضرن له الطعام كل يوم و يبعثن أبنائهن ليحضروه له بعدها يتناول من الأطباق كلها «كان أكونكو يجلس على جلد ماعز و هو يأكل وجبة طعام زوجته الأولى ،جلست اوبياغلي التي أحضرت الوجبة من كوخ أمها على الأرض تنتظر انتهائه ،وضعت إزينا طبق أمها أمامه و جلست مع اوبياغلي [...] كشف طبق زوجته الثانية و بدا يأكل منه أخذت اوبياغلي الطبق الأول و عادت إلى كوخ أمها ،بعد ذلك دخلت نيكشي ابنته بالطبق الثالث ،كانت نيكشي ابنة زوجة أكونكو الثالثة»<sup>1</sup>.

فالزواج في الأساس لا يتم بين الرجل و المرأة بل بين عائلتيهما و بعد التشاور بينهما «أما المرأة فكانت مندمجة بالأسرة الواقعة تحت سيطرة الآباء و الإخوة ،كذلك كانت تقدم للزواج من بعض الذكور إلى بعض الذكور ،فقد كانت العشيرة الأبوية تتصرف بها كما تتصرف ببعض الأشياء»<sup>2</sup> و يظهر هذا من خلال عادات الزواج التي عرفها تشينوا اتشيببي في الرواية حيث قال أوكيغو: «لقد وصلنا إلى اتفاق ما ثم التفت إلى أخيه و ابنه و قال دعونا نفرج و نهمس معا ،نهض الثلاثة و خرجوا و حين رجعوا أعاد أوكيغو حزمة الأعواد إلى أوبيركا»<sup>3</sup> من خلال هذا نرى أن الخطوبة و الاتفاق على المهر يتم حصرا على الرجال و لا يؤخذ رأي المرأة فيه أبدا.

1 - تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 68.

2 - ينظر: سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، ص 122.

3 - تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 99.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

يسيطر الرجال بشكل تام في عملية الزواج و سيرته حسب إرادتهم و المرأة تكون مجرد وسيلة لتحقيق هذه الركنة.

### 2- الأم :

الأم دائما ما تكون مصدرا للأمان و ملجأً عندما تسوء الأمور ،فهي تمثل الجانب الذي يأوي الأبناء إليه هربا من كل الأشياء السيئة التي قد تصيبهم «لا تستكمل المرأة مصيرها الفيزيولوجي إلا بالأمومة ،هذا هو استعدادها الطبيعي لان كل عضويتها نحو إدامة النوع»<sup>1</sup>.

فالمرأة في مجتمع الايغبو مكلفة بالإنجاب قبل كل شيء و كذلك رعاية الأطفال الذين ينسبون للأب و لا يمكن في أي حال من الأحوال أن ينسب للام ،لكن تظهر صورة الأم عندما تضيق الحياة بالأبناء و لا يجدون ملجأً يلجئون إليه ،هذا ما يحصل مع أكونكو بطل الرواية فعندما نفي من قريته بسبب مخالفته للقوانين حيث نفي إلى ارض أمه ليبقى هناك سبع سنوات و هو متقل بالحزن و الأسى ،عرض لنا تشينوا أتشيببي من خلال حوار دار بين أكونكو و خاله أوتشندو سأله فيه عن سبب دفن الأم دائما في موطنها و ليس في موطن زوجها و بسبب نفي الابن إلى موطن أمه «صحيح أن الطفل ينتمي إلى أبيه و لكن عندما يضرب أب طفله فهو ينشد العطف في كوخ أمه ،الرجل ينتمي إلى ارض أجداده حين تكون الأمور جيدة و الحياة حلوة ،لكن حين يعتريه الحزن و المرارة فهو يجد ملجأً موطنه ،إن أمك هناك لتحملك فهي مدفونة هناك و لهذا نقول أن الأم عليا»<sup>2</sup> فالأم تعتبر عليا ،يطلق الناس اسم "تينكا" على الأولاد لأنها الحضن الذي يحتوي الأولاد عندما يحزنون .

1 - سيمون ديبوفوار ، الجنس الآخر ، ص 164.

2 - تشينوا اتشيببي ، الأشياء تتداعى ، ص 168.

3- الابنة :

إنَّ الفروق بين الذكر و الأنثى في النظام الباترياركي تبرز منذ الصغر فتربيتها تكون بشكل مختلف «وان كانت الفتاة تبدو لنا قبل بلوغها سن الرشد و أحيانا منذ حداثة طفولتها متميزة بطابع جنى خاص فهذا لا يعود إلى وجود دوافع فطرية غامضة تؤهلها لحياة السلبية و التبرج و الأوثة و إنما إلى كون تدخل الآخرين في حياتها يبدأ أصلا ضد السنوات الأولى لطفولتها فيفرض عليها مصيرها المحتوم»<sup>1</sup>

في رواية الأشياء تتداعى كان على الابنة أن تبذل مجهودا اكبر من الابن لتتال الإعجاب ،كان عليها أن تلتزم بكل القواعد الملائمة للفتاة و تبتعد عن الأشياء التي يفعلها الصبية ، فكونكو كاب يتحكم في ابنته "إزينا" يأمرها دائما بالقيام بأشياء تخص المرأة «صاح أكونكو فيها :اجلسي مثل امرأة فضمت إزينا ساقها سوية و مدتها أمامها»<sup>2</sup> فكان على الطفلة أن تتعلم منذ صغرها التصرف وفق القواعد الاجتماعية المناسبة حتى انه عندما طلبت منه أن تحضر له الكرسي أجابها «لا تلك مهمة الصبي»<sup>3</sup>

اعجب أكونكو ب إزينا ابنة لأنها جميلة كما تستطيع فهم كل ما يفكر فيه و توافقه فيه ،إلا أن هذا لم يكن كافيا مع كل تلك الأشياء التي يحبها فيه كان دائما يتمنى في قرارة نفسه لو كانت صبيا «كان أكونكو محظوظا جدا في بناته و لم يتوقف قط عن الأسف بان إزينا كانت بنتا ومن بين جميع أولاده كانت هي وحدها تفهم أمزجته المختلفة كلها»<sup>4</sup>

من خلال هذا نرى أن الابنة مهما بذلت من مجهود ومهما أحبها الأب لن تستطيع أن تكون في مرتبة الذكر.

1 - سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، ص 61.

2 - تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 67 .

3 - المصدر نفسه، ص 68.

4- نفسه، ص 209 .

المرأة المتدينة تنال دائما الاحترام في النظام الباترياركي فهي مرتبطة بالأخلاق و الالتزام و هذا يجعلها تستحق الاحترام في نظر الرجل لأنها بعيدة عن الرذيلة «كتب عن المرأة الحب كفاية قصوى و بينما تحب رجلا فإنها تبحث فيه عن الآلهة فإذا حالت الظروف دون أن تحب حبا إنسانيا أو صدمت في قلبها أو كانت كثيرة الإلحاح فإنها تميل إلى عبادة الالهوية في الإله نفسه و النساء بعكس الرجال يعشن لهفتهن الصوفية بصورة عاطفية لا فكرية و المحبوب يبقى غائبا لكنه يتصل بعبادته عن طريق الرموز المبهمة، ليست المرأة في حاجة إلى الرؤية و اللمس كي تحس بالحضور إلى جانبها و يتميز الحب الإنساني و الحب الإلهي لا على أن الحب الثاني تصعيد الأول و إنما لان الجد الأول هو أيضا وثبة نحو السامي نحو المطلق»<sup>1</sup>

من هنا نعرف أن المرأة مقيدة دائما بالخضوع سواء للرجل أو لكيان أسمى تتمثل في "الإله" الذي ترتبط به بشكل عاطفي و رغم غيابه يتصل بها عن طريق الرموز المبهمة و قد ظهرت في الرواية المرأة المتدينة في صورة الكاهنة "تشيلوا" التي كانت في تواصل مع الإله "اغبالا" و قد كان هذا الارتباط متمثلا في الوسائل التي تتلقاه منه « توقفت لأنه في تلك اللحظة بالذات خرق صوت مدو و عال الطبقة صمت الليل في الخارج كانت تلك "تشيلوا" كاهنة اغبالا و هي تنتبأ، لم يكن ثمة شيء جديد في ذلك نادرا جدا ما كانت "تشيلوا" تتملكها روح إلهها و تبدأ بالتنبؤ لكن في هذه الليلة كانت توجه نبوءتها و تحياتها إلى أكونكو لذلك أصغى كل شخص في عائلته و توقفت القصص الشعبية»<sup>2</sup>

<sup>1</sup>-سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، ص 229 .

<sup>2</sup>- تشينوا اتشيببي، الأشياء تتداعى، ص 133.

## الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي

كانت شخصية تشيلوا ملجأ أكونكو بطل الرواية عندما كانت ابنته موشكة على الموت و لم يكن ليرفض لها أي أمر «كانت الكاهنة قد وصلت إلى مجمع أكونكو الآن و راحت تتحدث معه خارج كوخه ،كانت تقول بشكل متكرر أن اغبالا أراد رؤية ابنته إزينا ،توسل أكونكو إليها لتعود في الصباح لان إزينا نائمة الآن ،لكن تشيلوا تجاهلت ما كان يحاول قوله و تابعت صياحها»<sup>1</sup>

وقد ساهمت بشكل كبير في علاج الفتاة كانت المكانة الدينية ل "تشيلوا" تمنحها المهابة والاحترام ويواصلها مع الإله "اغبالا" يجعلها ملجأ للكثير من الناس الذين يعانون كأزينا.

### النظام الباترياركي بعد الاستعمار:

إن بنية المجتمع ووضعية المرأة فيه لم يشهد تحولا كبيرا بعد مجيء الاستعمار البريطاني، فقد بقيت المهام الموكلة لها نفسها وكذا المكانة التي تشغلها لكنها حظيت ببعض الأمور التي لم تملكها من قبل كالمحافظة على توائها فقد كانوا في المجتمع التقليدي منبوذين.

لكن التفكير الباترياركي الذي كان يفرض على المرأة القيام بالأعمال المنزلية و أعمال التنظيف و غيرها لم يتغير و بقي راسخا في تكوين المجتمع ،نرى أن السيد كياغا الذي كان ممثلا للدين المسيحي في القرية ظل محافظا على نظرتة التقليدية للمرأة « في يوم الأربعاء من أسبوع السلام طلب السيد كياغا من النساء إحضار تربة حمراء و طباشير بيضاء و ماء لتنظيف الكنيسة من اجل عيد الفصح و انطلقن باكرا في ذلك الصباح، يحمل بعضهن قدور الماء إلى الجدول و حملت مجموعة أخرى المجرفات و

<sup>1</sup> - المصدر السابق ، ص 133 .

الفصل الثاني: رواية الأشياء تتداعى بين النسق الكولونيالي وما بعد الكولونيالي  
السلال إلى حفرة تراب القرية و الأخرى إلى مقلع الطباشير»<sup>1</sup> كما لا يزلن يتعرضن  
للعنف «عادت النساء اللواتي ذهبن لإحضار التربة الحمراء بسلال فارغة و تعرضت  
بعضهن للضرب الشديد بالسياط»<sup>2</sup>

كما أن اعتناق المسيحية من طرف النساء لم يكن ليشكل حدثا مهما كما هو الحال  
للرجال فهن في الأساس غير مهمات «كانت نينكا قد مرت بأربع حالات حمل وولادة  
سابقة لكنها أنجبت توائم في كل مرة، القي بهم في الغابة فورا، أصبح زوجها و عائلته  
متأزمين جدا من هذه المرأة و لم يقلقوا كثيرا عند اكتشافهم أنها هربت للانضمام إلى  
المسيحيين و كان تخلصا مريحا»<sup>3</sup> فالمرأة هنا كانت بمثابة عبء و انضمامها إلى الجانب  
الأخر كان تخلصا من هذا العبء .

في النهاية نرى أن هذا النظام الباترياركي الذي كان سائدا في قبيلة الايغبو ظل  
محافظا على وجوده وصلابته بعد مجيء الاستعمار ولم يستطع هذا الأخير زعزعته أو  
تفكيكه.

<sup>1</sup> تشينوا اتشيببي، رواية الأشياء تتداعى، ص 197.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 198

<sup>3</sup> نفسه ص 187.

خاتمة

### الخاتمة:

حاولنا من خلال دراستنا هاته ان نكشف الحجاب عن الأنساق المضمرة التي حوتها رواية "الأشياء تتداعى" والتي أنت متخفية تحت عباءة الجمالية؛ وذلك بالاستعادة باليات النقد الثقافي التأويلية وذلك للولوج لما ترميه هذه الأنساق وما تريد ان نخبرنا به حول السياق الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي فالنقد الثقافي يسعى لكشف حيا الثقافة في تمرير انساقها تحت اقنعة ووسائل خاصة تنتشر بأغطية البلاغة والجمال، تطرقنا في البداية الى مفهوم النسق والأنساق المضمرة.

لقد ارتكزت هذه الدراسة على عدة عناصر نظرية؛ إذ تناولنا مفهوم "ما بعد الكولونيالية" و "الادب ما بعد الكولونيالي" بصفته ادبا يسعى إلى إيجاد القواسم المشتركة بين آداب الدول التي تعرضت للاستعمار وإسماع صوت المستعمر عن طريق الكتابة الأدبية التي كانت هي الأخرى، تحت سيطرة الدول الاستعمارية حصرا.

تضمنت الرواية عددا كبيرا من الأنساق المضمرة، التي حاولنا تتبعها وتوصلنا من خلال ذلك الى عدة نتائج اهمها:

— كان النسق السياسي حاضرا في الرواية وجاء في ثلاثة محاور؛ حيث وجدنا ما يمكن ان نسميه النظام القبلي كنظام سياسي /البدائي تمركز في قرية أشياء تتداعى التي تعد صورة لعديد الأنظمة المتواجدة في العمق الإفريقي لينتقل بعدها النظام السياسي من القبيلة الى الدولة عن طريق الاستعمار الذي حور الحياة السياسية داخل قرية أشياء تتداعى وجعلها تخرج من النمط التقليدي الى النمط الكولونيالي

في المرحلة الثالثة وجدنا أن ما بعد الكولونيالية كنظام اخرج افريقيا من بدائيتها السياسية ونقلها الى التحضر المؤسساتي وهذا ما نجده في تلك الهياكل (المحكمة، مقر الحكومة).

## خاتمة

— تمكنت شخصية أكونكو في الرواية من المحافظة على الهوية رغم صراعاها مع المستعمر الذي سعى الى تجريد الجميع من هويتهم، وهذا ما يمكن ان نسميه بالنسق الهوياتي المخاتل الذي لا يؤمن بالصفاء قدر امانه بالهجنة وهذا ما نجده في تلك الثنائية او الانقسام الذي عاشه مجتمع القرية بوفود الدين الجديد الذي حطّم الهوية القبلية /تعدد الالهة ونقلها الى الهوية المؤسساتية /الكنيسة ما جعل الرواية فسيفساء من الأنساق الهوياتية المتصارعة.

— حضر النسق الاجتماعي بشكل قوي خاصة في النصف الأول من الرواية، اذ نجد ان الراوي ركّز في بداية روايته على ابداء الأنساق الثقافية والاجتماعية التي تمايز إفريقيا كسلطة الرجل/نسق الفحولة داخل القبيلة في مقابل دونية المرأة، كما نلاحظ تلك الصراعات القبلية التي يعيشها المجتمع الافريقي/ صراع الأنساق؛ كان الصراع حول من سيكون الأقوى وهو ما تجلى في نسق الانتقام.

في الجانب الديني نلاحظ هيمنة النسق الميثولوجي الذي يقترب من النسق الاغريقي في تعدد الالهة ما يجعل الثقافة الافريقية ثقافة ممتدة و مرتبطة بالثقافات العالمية من حيث البعد الديني رغم تهميشها و تركها منزوية حتى عصرنا الحالي الذي حاول فيه بعض النقاد و الدارسين التوجه اليها و دراستها عن طريق الرواية التي أصبحت صورة عاكسة لقضايا عدة و انساق مخاتلة حاولنا دراستها من حيث سعينا لفك بنيتها المضمرة.

في الختام لا يسعنا الا ان نشكر الاستاذ المشرف على توجيهاته القيمة لإنهاء هذا البحث الذي لا نروم منه الكمال، بقدر ما نسعى إلى إخراج الرواية الإفريقية من العتمة إلى النور، فإن وفقنا فمن الله، وإن أخطأنا فلم نقصر ولكن حررنا التوفيق.

قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- بيل إشكروفت وآخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر أحمد الروبي، المركز القومي للترجمة القاهرة، الطبعة الأولى، دت.
- 2- عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون الكويت 1977.
- 3- محمد مفتاح ، التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1، 1996
- 4- نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 2003.
- 5- احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة تح و ضبط عبد السلام محمد هارون ، ج 5، باب النون و السين ، دار الفكر للنشر و الطباعة و التوزيع، بيروت، دط، دت.
- 6- آمال علاوشيش ، ما بعد الكولونيالية ، ضمن كتاب خطابات المابعد الكولونيالية مجموعة مؤلفين ، ط1 2013 .
- 7- بيل إشكروفت، الإمبراطورية ترد بالكتابة، تر جيري دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن ، ط1 ، 2002.
- 8- تشينوا أنشيببي، رواية الأشياء تتداعى، تر د/فؤاد عبد المطلب، الجزائر تقرا ، دط، 2018،
- 9- عبد الله الغدامي ، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب دط ، 2005 .
- 10- كريميو اليزابيث، وصفية المرأة في العالم ،تر حنان القصيبي و محمد هلال ،المغرب دار توقبال ، دط، دت.
- 11- ينظر أنيا لومبا ، في نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ، تر د/محمد عبد الغاني غنوم ،دار الحوار، مصر، ط1، 2002.

12- ينظر: ادوارد سعيد، العالم والنص والناقد، تر عبد الكريم محفوظ ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دط، 2000.

Https ://www.uobabybon.edu.iq

13- الخليل الفراهدي ، تح عبد الحميد لغداوي ، ج4 ( ر د ي ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1424هـ – 2003 م .

14- جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخيل السياسي، ديوان العرب لمنبر حر للثقافة والفكر الأدبي، 11 مارس 2007، <http://diwanalarabl.com>

15- عبد الله الغدامي عبد النبي صطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر دمشق، ط1، 2004.

16- مقال غني ناصر حبن القرشي ،النظام الديني و المؤسسة الدينية ،20مارس2019 ساعة 9:20

17- ميشال فوكو ، هم الحقيقة مختارات ، تر مصطفى المسناوي ومصطفى كمال و محمد بولعيش ، سلسلة بيت الحكمة ،إشراف مصطفى المسناوي ، دط منشورات الاختلاف ،الطبعة الأولى 2006 م/1427.

18- هشام شرابي 1999، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، دط، دت.

19- Camille la Coste Dujardin(1985) ,des mères contre les femmes maternités et patriarcat au magreb, Paris la découverte .

20- Cheikh Anla diopthe African Orige of civilizations :Myth. or Reality.

## فهرس المحتويات

يشكر و عرفان

إهداء

مقدمة ..... من 1 إلى 3

مدخل ..... من 5 إلى 7

### الفصل الأول :

. المبحث الأول: مفهوم النسق

. المطلب الأول: مفهوم النسق لغة و اصطلاحا ..... من 9 إلى 10

. المبحث الثاني: النسق الثقافي و أنواعه ..... من 11 إلى 13

. المطلب الأول: النسق الاجتماعي ..... من 14 إلى 24

. المطلب الثاني : النسق الديني ..... من 25 إلى 31

. المطلب الثالث : النسق السياسي ..... من 32 إلى 39

### الفصل الثاني:

. المبحث الأول : مفهوم الكولونيالية

. المطلب الأول : مفهوم الكولونيالية ..... من 41 إلى 45

. المطلب الثاني : مفهوم الخطاب الكولونيالي ..... من 45 إلى 49

. المبحث الثاني : ما بعد الكولونيالية

. المطلب الأول : ما بعد الكولونيالية ..... من 49 إلى 52

. المطلب الثاني : أدب ما بعد الكولونيالية ..... من 52 إلى 58

. المبحث الثالث : النظام الباترياركي

. المطلب الأول : مفهوم النظام الباترياركي ..... من 59 إلى 69

الخاتمة ..... من 70 إلى 71

. قائمة المصادر و المراجع

. الفهرس

. الملحق

المُلْحَق

## 1. التعريف بالروائي "تشييوا اتشيبى":

وُلد أتشيبى في قرية " أوغيدي" الكبيرة في شرق نيجيريا بتاريخ 16 نوفمبر 1930، هي من أوائل القرى التي شهدت العمل التبشيريّ البريطانيّ، عمل والدّه هناك معلماً تبشيريّاً، تربى تربية مسيحيّة .

انتسب أتشيبى إلى قبيلة الايغبو و تعلم لغتهم و راح في سن الثامنة يتعلم الانجليزية، سافر إلى بريطانيا كي يدرس في جامعة لندن لكنّه عاد إلى بلاده كي ينهي دراسته الجامعيّة الأولى في الكلية الجامعيّة في " ابادان" في 1953، أثناء دراسته الجامعيّة انصب اهتمامه على الثقافة النيجيريّة المحليّة و قام بتغيير اسمه المسيحيّ من "ألبرت تشييواوموغو أتشيبى" إلى اسمه المحلي "تشييوا".

أتشيبى هو روائي نيجيريّ من قومية الايغبو، أول روائي بارز من القارة السمراء كتب بالإنجليزية، تتناول كتاباته المخلفات المأساويّة للامبرياليّة البريطانيّة على المجتمعات الإفريقيّة .

حلّل أتشيبى العلاقات الأسلوبية بين الأدبين الإفريقيّ و الانجليزيّ و قد استحوذت أعماله على اهتمامات النّقْد الأدبيّ، تصف روايته الأشياء تتداعى 1958 انهيار الحياة القبليّة التقليديّة في وجه الوجود الاستعماري البريطاني في نيجيريا، له مؤلفات أخرى أيضا منها: سهم الرب 1964، ابن الشعب 1966 و كئبان السافانا 1987، ألف كذلك قصصا قصيرة وكتبا للأطفال كما اشتهر بكونه ناقدا و ناشرا .

## 2. التعريف بالمترجم :

- الدكتور **فؤاد عبد المطلب** أكاديمي، باحث و مترجم، درس اللغة و الأدب الإنجليزيين والترجمة في جامعة حلب و جامعة الجنان و الجامعة اللبنانية الفرع الثالث طرابلس لبنان وجامعة الملك عبد العزيز و كلية المعلمين بالرياض و جامعة جرش بالأردن.
- له بحوث ومراجعات ومقالات وكتب مؤلفة ومترجمة منشورة باللغتين العربية والإنجليزية، شارك في عدة مؤتمرات محلية وعربية و دولية.
- حاز الدكتور فؤاد عبد المطلب على عدة شهادات ومناصب منها :
- . متحصل على إجازة في اللغة العربية و آدابها عام 1976/1975 بجامعة دمشق سوريا.
- . متحصل على دبلوم في الدراسات العليا و الدراسات الأدبية عام 1978/1977 بجامعة دمشق سوريا .
- . ماجستير في المسرح 1984/1983 بجامعة إسكس بالمملكة المتحدة.
- . دكتوراه في الأدب 1989.1988 بجامعة إسكس بالولايات المتحدة الأمريكية.
- . باحث زائر على منحة فولبرايت الأمريكية في جامعة اوبرلين اوهابو بالولايات المتحدة الأمريكية 1994/1993
- . عضو الهيئة التدريسية في كلية الآداب و العلوم الإنسانية في جامعة البعث و هو رئيس قسم اللغة الإنجليزية 1999/1989 حمص . سوريا .
- . هو عضو إتحاد الكتاب العرب في دمشق سوريا .
- . رئيس هيئة تحرير مجلة دراسات في الأدب الانجليزي و اللغويات و الترجمة التي تصدر عن مطبوعات جامعة جرش . الأردن .
- . نائب عميد كلية الآداب للشؤون العلمية في جامعة البحث 2007/2006 .

### 3. ملخص الرواية:

نشر تشينوا أتشيببي رواية الأشياء تتداعى في 1958 وهي أول رواية تصدر بالانجليزية وتتحدث من داخل الشخصية و المجتمع الإفريقي . جاءت الرواية بوصفها نوعا من الردّ على الروايات الغربية مثل رواية " جوزيف كونراد " " قلب الظلام " التي تتعامل مع إفريقيا بوصفها مكانا بدائيا يخلو من أيّة ثقافة و تصور القارة الإفريقيّة من الخارج كما يراه الرجل الأبيض.

الرواية عبارة عن سرد للتراث الشعبيّ النيجيريّ المليء بحكايات الأجداد حيث جمعت كل ألوان الحياة الاجتماعيّة و العادات و التقاليد المتعددة. و صفت كذلك الحياة في نيجيريا قبل وبعد الاستعمار الانجليزيّ مركزة على اثر الاستعمار في تغيير شكل الحياة المألوف والوحدة التي كانت كالعقد ثم أتى الاستعمار و انفرط العقد و ضاع جمال الموروث الثقافيّ والاجتماعيّ في نيجيريا و في مجتمع " الايغبو " و خاصة قبيلة "أوموفيا" و التي ينتمي إليها الكاتب "تشينوا أتشيببي " و بطل الرواية كذلك.

جاءت الرواية لتقدم لنا حياة قبيلة إفريقيّة تؤمن بأرواح الأسلاف وحضورها في حياة أحفادها ، خصص أتشيببي كل فصل من روايته لطقس موروث هذا من خلال تتبعه لسيرة حياة "أكونكو" الذي لم يرث لا مال ولا جاه عن والده " أنوكا" الذي لم يحمل ولا لقباً في حياته ليكون فخراً لابنه، رغم هذا استطاع "أكونكو" بناء عالمه الخاص بجهده الفردي ليصبح أحد المحاربين المشهورين في القبيلة بعد أن تغلب على أعظم مصارع في أوموفيا ونال أعظم لقب، تزوج بثلاث نساء املكهنّ أكواخ دجاج و مخازن بطاطا حلوة، أنجب له أولادا وبنات كلهم تحت رعايته .

عاش اكونكو بحلم أن يصير أحد رؤساء القبيلة و حكمائها ، لكنّ الحلم تأجل بسبب حادثة نفيه لقتله شخصاً عن طريق الخطأ في حفل زواج ابنة صديقه، حين عاد كانت الحياة

قد تغيرت بظهور الرجل الأبيض و بناء كنيسة للمنبوذيين و منعدمي الألقاب من أبناء القبيلة الذين اعتنقوا الديانة الجديدة.

تنتهي الرواية بإيقاعٍ متسارعٍ يشهدُ عدداً من الحوادثِ كاعتداء احدِ المسيحيينِ الجدد على ممثلي أرواح القبيلة و قرار "أكونكو" و غيره من الحكماء حرق الكنيسة من دون إراقة الدماء ، بعد الحادثة وجدوا أنفسهم معتقلين من جانب رئيس الكنيسة **مستر سميث** ، لتسريحهم طلب فدية بعد دفعها وإطلاق سراحهم اجتمع أهل القرية لمناقشة إمكانية الردّ على تصرفات الرجال البيض ، لكنّ سنةً من جنود المحتلّ يجيئون لفض اجتماعهم ما جعل "أكونكو" يثور يُخرج سيفه و يقتل أحدهم ، يأتي الحاكم للقبض عليه فيصطحبه صديق **اكونكو** إلى بستان بيته حيث يجده متدلّياً من احد الأشجار ، حسب معتقدات قرية **أوموفيا** المنتحراً منبوذاً لا يدفن بل يرمى إلى غابة الشّر ما دفع بـ " **اويركا** " صديق "أكونكو" أن يطلب من الرجال البيض إنزاله و دفنه.

من خلال الرواية نقرا دلالاتٍ واضحةٍ مفادها أنّ القيم و المعتقدات باقية، فهي تمثل مرتكزاً ينبغي المحافظة عليها في ظلّ التّداعي الكامل لهيكله مجتمعٍ ما و منظومته الثقافية.